الجمهوريّة العربيّة السوريّة
وزارة التّربية

قضايا
فلسفيّة واجتماعيّة ونفسيّة

الثّالثُ الثّانويُّ الأدبيُّ

كتابُ الطالب

الجزء الثاني

٢٠١٤ - ٢٠١٥ م
١٤٣٥ هـ

الجُمهوريّةُ العرَبيّةُ السُّوريّةُ

وَزارةُ التَّربيَة

قضايا
فلسفيّة واجتماعيّة ونفسيّة

الجزء الثاني

كتابُ الطّالب

الصفُّ الثالثُ الثَّانويّ الأدبيّ

٢٠١٤ ـ ٢٠١٥م

١٤٣٥هـ



المؤسَّسةُ العامَّةُ للطِّباعة



طُبِعَ أوّلَ مرّةٍ للعامِ الدّراسيِّ ٢٠١٢ - ٢٠١٣م

لجنة التّأليف

د. طاهر سلوم	سبيت سليمان
د. سليمان الضاهر	سليمان اليونس
د. أحمد محمد غنام	سماهر مظهر اليوسف
أسامة أدهم بيطار	سميرة لايقة
أمية دعبول	شادي العمر
بتول محمد	عبد الرحمن ياسين
رزان علي	علي محمد اسبر
زكاء أنباشي	عهد كمال شلغين

هيثم توفيق العطواني

لجنة التّقويم

د . فرح سليمان المطلق

أ . عبد الحكيم الحماد

د. طاهر سلوم

د. سليمان الضاهر

د. هاني عمران

مقدمـــــــــــة

يسرُّنا أن نضعَ بينَ أيدي أبنائنا طلبةِ الصفِّ الثالث الثانويّ الأدبي كتابين بعنوان(قضايا فلسفيّة واجتماعيّة ونفسيّة ١ و ٢) نُظِما في ثماني وحداتٍ درسيّة وعناوينُها على الترتيب: (الإنسان، المعرفة، المنطق، الفلسفة العربيّة، القيم، الحرّيّة، العلم، الحضارة)، وُضِعَت الوحداتُ الأربع الأولى منها في الكتابِ الأوّل (١)، وخُصِّصَت للدراسة في الفصل الأوّل، ووُضِعَت الوحدات الأربع الباقية منها في الكتاب الثاني(٢) وخُصِصَت للدراسة في الفصل الثاني؛ حرصنا في بنائها على تلبية متطلّباتِ المنهاجِ وتحقيقِ الغاياتِ المتوخاةِ منهُ، والاتّساق مع منهجيّةِ كِتابَي الصفيّن الأوّل والثاني الثانويّ، وتبنّي المعاييرِ التي حَرَصَت وزارةُ التربيـــــةِ بوساطتها أن يكـــــــونَ الطلبةُ مشاركينَ نشيطينَ في عمليّةِ التعلُّم.

اختصَّتِ الوحدةُ الأولى بعنوان **(الإنسان)**، وشمِلَت: الإنسانَ والطبيعةَ، الإنسانَ والمجتمع، الإنسانَ والتاريخ، اللغةَ والتفكير، الإنسانَ والإرادة، إضافة إلى تحليل نصّ فلسفيّ..

وتناولَتِ الوحدةُ الثانيةُ قضايا بعنوان **(المعرفة)** وشملت: المعرفة والوجود، والذاكرة والعمليّات المعرفيّة، إضافة إلى تحليل نصٍّ فلسفيٍّ.

وتناولتِ الوحدةُ الثالثةُ قضايا بعنوان **(قضايا منطقيّة)** وشَمِلت: الحدودَ أو الألفاظَ أو التصورّاتِ، والأحكام أو القضايا، واستغراقَ الحدود في القضايا، و مبحثَ الاستدلال وأنواعه؛ إضافة إلى تحليل نصّ فلسفيّ

وتناولتِ الوحدةُ الرابعة قضايا بعنوان **(الفلسفة العربيّة الإسلامية)** وتناولت: نشأة الفكر الفلسفيِّ في الحضارة العربيَّة والإسلاميّة، ومشكلة العقل والنقل ومشكلة قِدَم العالم وحدوثه، إضافة إلى تحليل نصٍّ فلسفيٍّ.

وتناولتِ الوحدةُ الخامسة **(القيم)** قضايا بعنوان: الإنسانُ حاملُ القيم، والتصنيفات الأساسيّة للقيم، وشملت الوحدة أيضاً تحليل نصٍّ فلسفي.

وتناولتِ الوحدةُ السادسة **(العِلم)** قضايا بعنوان: العِلمُ والتفكير العلميُّ، والعلمُ بين الوعي العلميّ وأخلاقيّات العلم، وشملت الوحدة تحليل نصّ فلسفي..

وقد تناولتِ الوحدةُ السابعة (الحرّيّة) قضايا بعنوان: فلسفة الحرّيّة، والحرّيّة الداخليّة والحرّيّة الوجدانيّة، وشملت الوحدة تحليل نصّ فلسفيّ..

وقد تناولتِ الوحدةُ الثامنة (الحضارة) قضايا بعنوان: الحضارة وبناها الأساسيّة، والعالم المعاصر وحوار الحضارات، بالإضافة إلى تحليل نصّ فلسفيّ.

وقد بُنِيَ الكتابُ على الأنشطةِ المتنوِّعةِ الفرديّةِ والجماعيَّةِ التي تبعثُ بدارسـهِ دافعيَّةَ البحثِ والتتبُّعِ النظريّ والميدانيِّ لاستخلاصِ الأجوبةِ التي تشكِّل في النهاية تقويماً لاستيعابِ مضامينِها، كما تعملُ على تدريبِ الطلبةِ على التفكيرِ في الظواهرِ والقضايا والمشكلاتِ الاجتماعيّةِ والإنسانيّةِ، والبحثِ في إيجادِ تفسيراتِها في الفلسفةِ وعلمِ الاجتماع وعلمِ النفسِ؛ إذ بدأ كلّ درسٍ بمُدخلٍ، أعقبَتْه أسئلةٌ تتطلَّبُ التفكيرَ والبحثَ في الصفِّ، كما تنتهي بتطبيقاتٍ لما وصلَ إليهِ النقاشُ في الحياةِ، يُستكملُ إنجازُها في البيتِ، فتسهمُ في ترسيخِ معارف المتعلّمِ وتمكِّنُهُ من توظيفِها في الحياةِ.

كما تضمّن الكتابُ النصوصَ الكتابيَّةَ موثّقةً من مصادرها، لتعزيزِ مهارةِ القراءةِ والتفسيرِ والاستنتاجِ، وتطويرِ مهاراتِ البحثِ وتحليلِ النصّوص.

إنَّنا إذ نضعُ هذا الكتـابَ بينَ أيدي أبنائنا الطلبـةِ لَيحدونا الأملُ أن يبذلوا جهداً طيِّباً، للإفادةِ من محتواهُ المعرفيّ، والمهاراتِ التي يهدفُ إلى إكسابِها، معَ تأكيدِ أنَّ الكتابَ المدرسيّ أحدُ مصادرِ المعرفةِ، وعلى الطلبةِ الرجوعُ إلى مصادرِ التعلُّمِ التي أُشيرَ إلى بعضٍ منها في نهايةِ كلّ درسٍ من كتبٍ ومجلاتٍ ومواقعَ على الشابكةِ (الانترنت) للإثراءِ والاستزادةِ.

المؤلفون

القيم

الوحدة الخامسة (القيم)	الدرس الأوّل	مفهوم القيمة
	الدرس الثاني	القيمة كمشكلةٍ فلسفيّة
	الدرس الثالث	التصنيف التقليديّ للقيم
	الدرس الرابع	التصنيف المعاصر للقيم
	الدرس الخامس	الوعي القِيَميّ
	الدرس السادس	تحليل نصّ(مشكلة الشرّ في الفلسفة اليونانية) عبد الرحمن بدوي

مفهومُ القيمةِ

الأهدافُ التعليميّة:

يُتَوقَّع من الطالب بعد الانتهاء من أنشطة الدرس أن:

١. يتعرّف مفهومَ القيمة.

٢. يفرّق بين أحكام الوجوب و أحكام الوجود.

٣. يتعرّف رأيَ الوضعيّة المنطقيّة في أحكام القيمة.

٤. يشرحَ علاقة القيمة بكلّ من الحُكم و الفعل.

مفهومُ القيمةِ

قول للمناقشة:

تُستخدم كلمة قيمة بمعانٍ عدّة في مختلف اللغات، تنوّعت وتطوّرت مع تطوّر الحياة الإنسانيّة وتعقّد المجتمعات التي يعيش فيها الناس على تنوّعهم، فالقيمة في الفنّ هي الجمال الذي يتصف به العملُ الفنيُّ، والقيمةُ في السلوك، هي الخير الذي ينطوي عليه الفعل الإنسانيّ، والقيمة في السوق هي الثمنُ الذي يُدفع لقاء سلعةٍ نبيعها أو نشتريها، وتتحدّد قيمةُ الكتاب بالنفع الذي يجلبه لقارئه، كما تتحدّد قيمة الغذاء بما يحتويه من عناصرَ ضروريّةٍ ومفيدة لجسم الإنسان.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- أعطِ أمثلةً عن استخدامات كلمة قيمة في حياتك اليومية.
٢- ما الذي يجعل شيئاً ما مفضّلاً عندك أكثر من غيره؟
٣- اذكر عدداً من استعمالات كلمة قيمة في اللغة العربيّة؟
٤- ما سبب أهمية القيم في حياتنا؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- تعريف القيمة:

تُعرّف القيمة من خير وحقّ وجمال بأنّها **المعيار** الذي يمكن بوساطته عدّ **موضوعات** (كالعِلم) أو **خصائصَ** (كالانسجام) أو **أفعالٍ** (كالشهادة) أو **حوادثَ** (كالنصر) أو **صفاتٍ** (كالنزاهة) محبّذةً ومرغوباً فيها ومطلوبةً لذاتها.

ويوصف الموضوع بأنّه **ذو قيمة** إذا كان هدفاً نسعى إلى بلوغه، أو فعلاً نستحسنه، أو شيئاً نرغب فيه أو نحتاج إليه أو نستمتع به.

ويُعدّ البحث في نظريّة القيم من المباحث الفلسفيّة المهمّة، ويُطلق عليه اسم "**الأكسيولوجيا Axiology**" من اليونانيّة Axia التي تعني قيمة، وLogos الذي يعني نظريّة أو علم.وتدرُسُ الأكسيولوجيا مشكلاتِ القيم بأنواعها المختلفة، وتبحث في منشئها وطبيعتها وتصنيفها وأنواعها ودلالاتِها المتعددة.

ثانيا – القيمة والحكم:

اهتمَّ الفلاسفة في مبحث القيمة بدراسة العلاقة بين القيمة والحكم، والمقصود مِنَ الحكم هو **الرأي الذي يطلقه الإنسان، أو الموقف الذي يتّخذه**، إزاء الأفعال أو الأشياء.

ويفرّق الفلاسفة بين نوعين من الأحكام تُربط بنوعين من العلوم، هما: **أحكام الوجود** التي ترتبطُ بالعلوم الوضعيّة، **وأحكام الوجوب** التي ترتبطُ بالعلوم المعياريّة.

١- **أحكام الوجود:**

وهي تشمل الأحكامَ العلميّةَ التجريبيّة التي تصف الواقع كما هو، أي **تبحث فيما هو كائن**، ويمكن وصفها **بالصدق أو الكذب**، ومن أمثلتها:(الحديد يتمدّد بالحرارة)، و(الماء يتكون من ذرّة أوكسجين وذرَّتَي هيدروجين).

٢- **أحكام الوجوب:**

تشمل أحكام العلوم المعياريّة، كعلم المناهج ونظريّة المعرفة، والقيمة الأساسيّة فيهما "**الحقّ**".أو علم الأخلاق، وقيمتُه الأساسيّة "**الخير**". أو علم الجمال، وقيمتُه الأساسيّة "**الجميل**"، وتبحث أحكام الوجوب **فيما ينبغي أن يكون عليه** سلوك الإنسان ليحقّق قيم هذه العلوم.

- هل ترتبط القيمة بالحقيقة العلميّة أم بالمعيار؟ ولماذا؟

قدّمت الفلسفة الوضعيّة المنطقيّة في بداية القرن العشرين، نظريّة جديدة لمعنى القيمة، وحصرتها في المجالَين الأخلاقيّ والجماليّ فقط، واعتبرت أن أحكام القيمة في هذين المجالَين **لا تمثّل قضايا منطقيّة** (أي عبارات تقريريّة)؛ لأنّه لا يمكن الحكم عليها بالصواب أو الغلط، إنّما هي عبارات إنشائيّة تعكس مواقف الإنسان النفسيَّة.

وترى الوضعيّة المنطقيّة أنّ الحكم الأخلاقيّ الذي يقرّر أنّ (الكذب شرّ) لا يمثّل **حكماً عقليّاً**، لأنّه لا يمكن البرهنة عليه بشكلّ تجريبيّ أو منطقيّ، بل يمكن ردّه إلى صيغة الأمر، كقولنا (لا تكذب)، أو صيغة التمنّي أو النصّح، (أنا لا أحبّذ الكذب، وأنت أيضاً يجب ألا تحبّذه)، والأمر نفسه ينطبق على الحكم الجماليِّ، فعندما أحكم أن(لوحة "الموناليزا" جميلة)، فأنا أعبّر عن صيغةِ استحسان مفادها أنّ لوحة الموناليزا التي رسمها دافنّشي تروق لي، ويعبّر هذا الحكم عن حالة انفعاليّة وجدانيّة فرديّة، **ولا يمكن تعميمه** على جميع الناس وفي جميع الظروف.

ثالثا– القيمة والفعل:

لا يمكن فهم طبيعة القيم بوساطة **الدراسة النظريّة فقط**، بل لا بدّ من تعيينها في الممارسة العمليّة أيضاً، لأنّ القيمة علاقة تقوم بين **الذات الإنسانيّة والواقع** بما فيه من موضوعات وأحداث، وإذا كنا قادرين على الفصل النظريّ بين الشجاعة والعدالة والإخلاص كقيمٍ مجرَّدة، فإن اتصال هذه القيم بعضها ببعض في الممارسة العمليّة، **وارتباطها بالسلوك مباشرة** هو ما يتيحُ لنا أن نطلق عليها اسم القيم الأخلاقيّة.

أمّا في الحقل الجماليّ، فيرتبط **الحكم** على القيمة الفنيّة **بالجهد** الذي يقوم به الفنّان، وبما يتضمّنه هذا الجهد من ابتكار وإبداع، ولا يمكن للقيمة الفنّية أن تتحقّق إلا بوساطة **عمل مشخّص**، لذلك فإنّ الفنّانَ والمتذوّقَ هما **الطرفان الفاعلان** اللذان تنتقل القيمة من أحدهما إلى الآخر عبر العمل.

بناء على ذلك، فإن وجود القيمة وتحقّقها في حياتنا يشترط تضافر جانبين اثنين، هما:

١- **الجانب الفكري:** ويتضمّن فاعليّة العقل الإنسانيّ في **إطلاق الحكم المعياريّ** على التصورات والأفعال والأشياء، لأنّ وعي القيمة شرط لتحقّقها.

٢- **الجانب السلوكيّ:** لا تكفي معرفة القيمة لتحقّقها، فلا بدّ أن ترتبط هذه المعرفة النظريّة **بسلوك عمليّ** يجعلها مجسّدة في الواقع المشخص.

ولا تتحدّد قيمة السلوك الإنسانيِّ إذا نُظِرَ إليه بوصفه سلوكاً فرديّاً منعزلاً، بل تتحدَّد قيمتهُ على أساس أنَّه سلوك عضو ينتمي إلى المجتمع، ويدرك قيمة ما يفعله وما ينبغي عليه فعله، فيحكم على أفعاله كما يحكم على أفعال الآخرين، كما أنه يأخذ بالحسبان حكم الآخرين عليه عندما يختار أفعاله.

لذلك يوصف الإنسان بأنّه كائن أخلاقيٌّ؛ لأنّه **يعترف** بوجود قيم معيّنة من الناحية النظريّة، **ويجسّدها** في الواقع ضمن شرّوطه الاجتماعيّة من الناحية العمليّة، أيّ أنه ينقل هذه القيم من عالمها المجرّد إلى عالمه المشخّص.

ويشترط تحوّل القيمة إلى الفعل أن يمارس الإنسان **حرّيّته** في الاختيار، ويكون **مسؤولاً** عن هذا الاختيار، لأنّ السلوك القِيَميّ ليس سلوكاً تلقائيّاً، بل يجب اقترانه بالإرادة والعزم على الفعل.

وكثيراً ما يكون الإنسان عارفاً ما ينبغي فعله، وما لا ينبغي فعله، ولكنه من الممكن ألا يلتزم ذلك في سلوكه، إذ **لا توجد علاقةٌ ضروريّةٌ** بين معرفة القيمة وتحقيقها، لذلك لا تؤدي معرفتُنا الخيرَ إلى تحقيقه دائماً، ومعرفتنا الشرّ لا تضمنُ لنا تجنُّبه.

- ما العلاقة بين القيمة وحرّيّة الاختيار؟

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- لا تمثّل أحكام القيمة عند الوضعيّينَ المنطقيّينَ قضايا منطقيّة.

٢- لا يمكن فهم طبيعة القيمة بالدراسة النظريّة فقط.

٣- يوصف الإنسان أنَّه كائن أخلاقيّ.

٤- قد يعرف الإنسان الخير ولا يلتزم تحقيقه.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- حدّد معنى كل من القيمة والحكم الأخلاقيّ في الفلسفةِ الوضعيّة المنطقيّة.

٢- ميّز، في العبارات الآتية، بين أحكام الوجوب وأحكام الوجود:

- يتبخر الماء عند الغليان.
- الصداقة كنزٌ لا يفنّى.
- أخلفَ صديقي وعده معي.
- تدور الشمس حول الأرض.

ثالثاً- الموضوع:

إن معرفة القيم لا يعني تحققّها، بل ينبغي أن يرافقَها سلوك إنساني مشخّص، ناقش هذا الموضوع من خلال شرح العلاقة بين القيمة والفعل، وبيّن رأيك.

المراجع:

- العوا، عادل. (١٩٨٦). *العمدة في فلسفة القيم*. دمشق: دار طلاس.
- رزفير، جان بول. (٢٠٠١). *فلسفة القيم*. ترجمة عادل العوا. بيروت: دار العويدات.
- مطر، أميرة حلمي.(د.ت). *مقالات فلسفيّة حول القيم والحضارة*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- قنصوه، صلاح. (١٩٨٦). *نظريّة القيمة في الفكر المعاصر*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

القيمةُ كمشكلةٍ فلسفيّةٍ

الأهدافُ التعليميّة:

يتوقّع من الطالب بعد الانتهاء من أنشطة الدرس أن:

١. يحدّد سبب ارتباط مشكلات القيمة بالتفكير الفلسفيّ.

٢. يفرّق بين مفهومَي القيم الذاتيّة والقيم الموضوعيّة.

٣. يتعرّف مفهومَي المطلق والنسبيّ.

٤. يدرك الاختلاف بين القيم المطلقة والقيم النسبيّة.

القيمة كمشكلة فلسفيّة

قول للمناقشة:

«إن البحث في القيمة بحثٌ فلسفيٌّ بالدرجة الأولى، وهذا البحث وإن كان مضمراً في المذاهب الفلسفيّة التي سبقت القرن التاسع عشر، فقد صار مطلباً فلسفيّاً تزداد أهميّته باطّراد، إلى أن غدا اليوم مطلب مفكّرين من ذوي مشاربَ متفاوتة غاية التفاوت، ولعلّ من الممكن أن نتخذَ قطبَي النسبيّ والمطلق (والذاتيّ والموضوعيّ) كاشفاً يعيننا على تحديد المنازع العامّة الكبرى لهؤلاء المفكرين».

(عادل العوّا: العمدة في فلسفة القيم)

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- هل البحث في القيم بحث فلسفيّ فقط؟ ولماذا؟

٢- ما المقصود بالنسبيّ والمطلق؟

٣- هل تختلف القيم الأخلاقيّة بين مكان وآخر؟ أو بين زمان وآخر.في رأيك؟

في ضوء ما سبق سنناقش الآتي:

أولاً- فلسفة القيم:

البحث في القيمة أحد موضوعات الفلسفة، لكنّه في الوقت نفسه **موضوعٌ لعلومٍ إنسانيّة وطبيعيّة** أخرى، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الحياة، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ القيمة مرتبطة بالإنسان الذي **تدرسه علوم مختلفة من جوانب متعددة**، ولا شك أنّ الإحاطة الكاملة بموضوعات القيمة لا تنحصر في مجال معرفيّ دون آخر، بل ينبغي أن تتضافر الفلسفة مع العلوم الأخرى بهدف تحديد مشكلات القيمة ومحاولة وضع حلولها.

من جهة ثانية- ورغم اشتراك علوم مختلفة في دراسة القيمة - فإنّ كلّ علم يُعنى بمشكلات **خاصّة تكون وثيقة الصلة به**، فعلم الاجتماع مثلاً يدرس التعينات الموضوعيّة للقيم كما هي في **الواقع الاجتماعيّ**، ولا يتوجّه نحو الدراسة **النظريّة المجرّدة** لمفهوم القيمة، وينطبق الأمرُ نفسه على علم النفس الذي يدرس **السلوك القِيَميّ** عند الإنسان، ويركّز على **أثر التربيةِ** في اكتساب القيمة ونقلها عبر الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وبالمقابل تهتمُّ الفلسفة بالآراء والنظريّات التي توضع عن **مفهوم القيمة وأصلها وخصائصها العامّة**، وتحاول الاستفادة من نتائج العلوم الأخرى في دراسة النشاط القِيَميّ عند

الإنسان، ولاسيما أنه نشاط معقد يرتبط بإرادة الإنسان، ومستواه العقليّ، وحاجاته الجسدية، وقيمه الأخلاقيّة، ثم بوعيه بذاته وبالطبيعة والوجود من حوله، وتتناول الفلسفة أيضاً **المشكلات النظريّة** التي ترتبط بمفهوم القيمة، كمشكلة **الذاتيّة والموضوعيّة**، ومشكلة **النسبيّة والإطلاق**.

- ما الذي تتوجّه إليه الفلسفة في دراسة القيم؟

ثانياً- القيم بين الموضوعيّة والذاتيّة:

البحث في موضوعيّة القيم وذاتيّتها هو بحث في طبيعة وجود القيم، هل القيم موجودة بشكلّ مستقل ومنفصل عن الإنسان؟ أو أنّ وجودها مرتبط بوجوده؟ ويمكن التعبير عن هذا السؤال بطريقة أخرى: هل الإنسان **يحمل** القيم **ويتمثّلها**؟ أو **يصنعها ويشكلّها** من تلقاء نفسه؟

أ- النظريّة الموضوعيّة:

يتّفق أنصار النظريّة الموضوعيّة على أنّ وجود القيم **منفصلٌ ومستقلٌ** عن الواقع الإنسانيّ، وأنّ الإنسان **يتمثّل هذه القيَم ويخضع لها** في أحكامه وسلوكه وذائقته، لكنّهم يختلفون في الوقت نفسه حول طبيعة هذا الوجود، فقد ذهب **أفلاطون** إلى أنّ القيم (ويقصد بها الخير والحقّ والجمال) هي مُثُلٌ قائمة بذاتها في "**عالم مُفارق**" مستقلّ عن العالم الحسيّ.

ويذهب لافيل في العصر الحديث إلى أنّ وجود القيم لا يرتبط بالإنسان، بل هو **خاصيّة ترتبط بالأشياء** وتوجد بوساطتها، فتجعل هذه الأشياءَ جديرةً بالوجود ومطلوبة من قِبَلِ الإنسان، أمّا هارتمان فيرى أنّ القيم موضوعات مثاليّة **موجودة بذاتها في مملكة الفكر**، ومستقلّة عن تفكير الإنسان ورغباته، لكنها **قابلة لإدراك** الذوات لها.

- هل اعتقد أنصار الموضوعيّة بأنّ الإنسان يصنع القيم أو يحملها فقط؟ ولماذا؟

ب- النظريّة الذاتيّة:

يذهب أنصار هذه النظريّة إلى أنّ القيم **ليست خاصيّة مستقلّة** في الأشياء، توجّه الإنسان نحو التفاعل معها أو استحسانها أو الخضوع لها، إنّما هي **نزعة الإنسان** نفسه وعاطفته، فكلّ قيمة هي قيمة **بالنسبة إليّ**، وحين أحكم على عمل ما بأنّه خيّر، فإنّ هذا الحكم ليس سوى تعبير عن **شعوري** تُجاه هذا العمل بأنّه خيّر، كذلك عندما أحكم أنّ موسيقا بيتهوفن جميلةٌ فإن هذا تأكيدٌ على أنّ **شعوري** نحوها هو أنّها كذلك بالفعل.

ويدافع أنصار النظريّة الذاتيّة عن موقفهم هذا بأنّه لو كانت القيم موضوعيّةً تفرض نفسها على كلّ الذوات، **فلن يختلف الناس حول القيم الجماليّة** التي تجعل شخصاً ما يحبُّ لوحات سلفادور دالي بينما لا تروق لآخر، ولن يختلف الناس في الأخلاق وقيمها حول الحدود الفاصلة بين التبذير والكرم، أو بين الترشيد والبخل.

ولقد كان الفيلسوف الفرنسيّ **فولتير** من أنصار هذه النظريّة عندما أجاب عن سؤال: ما الجميل؟ بالقول إنه ليس ما يطابق معياراً عقليّاً شاملاً، وإنّما هو الشيء الذي **يعدّه ذوقي جميلاً**.

- كيف دافع أنصار ذاتيّة القيم عن موقفهم؟

ج- النظريّة الجدليّة:

حاول أنصار النظريّة الجدليّة الجمع بين الاتجاهين الذاتيّ والموضوعيّ في نسق واحد، فاتفقوا مع أنصار النظريّة الذاتيّة على أنّ الإنسان هو **الكائن الوحيد الذي يبدع القيم**؛ لكنّهم أكّدوا أنّ القيم لا تنشأ لدى الإنسان من فراغ، بل هي **ثمرة اتصاله بالطبيعة والعالم** من حوله، لذلك لا تنشأ القيمُ عن تأثير الإنسان في ما حوله فحسب، بل تنشأ أيضاً عن تطوّر وعيه وإدراكه الناتجين عن اتصاله بالعالم الموضوعيّ من حوله.

أكّد الجدليّون أن القيم تنشأ عن **فاعليّة** الإنسان في الوجود **وانفعاله** أمامه، فهي ثمرة هذا التفاعل المستمرّ والمتطوّر، وهذا ما يفسر **تبدّل القيم وتعدّدها** في المجتمعات البشريّة، سواء عبر المقارنة بين قيم مجتمعين اثنين في زمن واحد، أو عبر المقارنة بين القيم السائدة في مرحلتين زمنيتين لدى مجتمع واحد.

- ما النظريّة الأكثر صحةً في تفسير وجود القيم في رأيك؟

ثالثاً– القيم بين الإطلاق والنسبيّة:

إذا كان البحث في موضوعيّة القيم وذاتيّتها يتصل بوجودها، فإنّ البحث في مطلقيّة القيم ونسبيّتها يتصل بتجسّد هذه القيم وارتباطها بالسلوك والممارسة، وسوف نناقش في ما يأتي مفهومي المطلقيّة والنسبيّة.

أ- النظريّة المطلقيّة:

تتصف القيمة وفق هذه النظريّة، بأنها **وجود مثاليّ لا زماني قائم بذاته**، ومستقلٌّ عن العقول الفرديّة وعن الأشياء الموجودة، ومتعالٍ عليها جميعاً، والقيم المطلقة هي القيم الثابتة

التي **لا يطرأ عليها تحوّل أو تَبدّل**، ولا تتكوّن عبر التاريخ، وتصلح في جميع الأزمنة وجميع الأمكنة، لذلك تصبح القيم المطلقة **معياراً** تتحدّد قيمة الأفعال والحوادث والأشياء كلّها وفقاً له.

ويذهب القائلون بالقيم المطلقة إلى أنّه ثمَّة **جمال بالذّات وحقّ بالذات**، وأنّ الأشياء والأفعال تكون جميلة وحقّة وخيّرة **بقدر اتفاقها** مع الطبيعة المثاليّة للجمال والحقّ والخير. وغالبا ما ترتبط النظريّة المطلقيّة للقيم بالنظريّة الموضوعيّة التي تفسّر طبيعة وجودها، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الإنسان **كائن نسبيّ لا يمكن أن يصدر عنه ما هو مطلق**، لذلك نجد أفلاطون وهارتمان من أهمِّ أنصار القيم المطلقة، وهما في الوقت نفسه من القائلين بموضوعيّة القيم.

ويذهب كانط أيضاً إلى القول بالقيمة المطلقة في نظريّته عن الواجب الأخلاقيّ الذي يبقى واجباً **ملزِماً للإنسان تحت أيّ ظرف وفي أيّ زمان**، وله الرأي الشهير الذي يقول:**(لو أنّ سعادة البشريّة تتوقف على قتل طفل واحد فإنّ قتله عمل غير أخلاقيّ)**.

- هل القيم المطلقة منفصلة عن الإنسان أو متصلة به؟ ولماذا؟

ب- النظريّة النسبيّة:

يذهب أنصار النظريّة النسبيّة إلى أن القيم ليست معاييرَ مستقلّة وقائمة بذاتها، بل هي أنواع **للفعل الإراديّ المحض، وللتفضيل الشخصيِّ** الذي يقوم على الميل والرغبة لدى الأفراد، فالجمال ليس خاصيّة تحملها الأشياء في ذاتها، وترغمنا جميعاً على الاستمتاع بها، إنّما هو **تفضيل شخصيٌّ** يختلف تبعاً لاختلاف رغبات المتذوّقين وعواطفهم وثقافاتهم. والأمر نفسه ينطبق على الخير الذي هو بحسب القواعد النسبيّة ليس مبدأ عاما ثابتاً يفرض نفسه علينا جميعاً، بل يتوقف وصف الفعل بالخير أو الشرّ على **المردود الذي يعود به هذا الفعل على كلّ فرد منا**، فالخير بالنسبة إلي هو ما يسبب سعادتي أو يدفع عني الألم والشقاء.

ولقد كان السوفسطائيون أولَ القائلين بنسبيّة القيم عندما أطلق **بروتاغوراس** عبارتَه الشهيرة: "**الإنسان مقياس الأشياء جميعاً**"، لكنَّ الفلاسفة الآخرين اتهموا السفسطائيّة بالمغالاة في النزعة النسبيّة الفرديّة التي يمكن أن تؤدي، في النهاية، إلى **هدم جميع المعايير والقيم** التي تتمسّك بها الجماعة الإنسانيّة.

- هل تميلُ إلى مطلقيّة القيم أو نسبيّتها؟ ولماذا؟

رابعاً– توافقيّة القيم:

القول إنّ أيّاً من الاتجاهات السابقة (الذاتيّة أو الموضوعيّة) و(النسبيّة أو المطلقيّة) لا يخلو من نقد، هو قولٌ صحيح تماماً، ولكنَّ القول بأن كلّ اتجاه من هذه الاتجاهات ينطوي على جزء من الحقيقة هو صحيح أيضاً، لذلك رفض بعض الفلاسفة الانتصار لرأي دون آخر، أو الأخذ باتجاه واحد وترك الاتجاهات الأخرى، وأكّدوا أنّ القيم ينبغي أنْ تقوم على نوع من **الاتزان بين الذاتيّة المتغيّرة والموضوعيّة الثابتة**، لأنّها لا تخص الفرد وحده، بل هي **قاسم مشترك** بين الأفراد، سواء ضمن الجماعة أو المجتمع أو الإنسانيّة جمعاء.

ويبدو أنه **لا يمكن المساواة** بين القيم جميعها في الحكم عليها بالموضوعيّة أو الذاتيّة، أو الحكم بالنسبيّة أو الإطلاق، فقد لا يكون ثمَّة مشكلة في اختلاف الأفراد حول الجمال، وتمسّك كلّ فرد برأيه الخاصّ حول ما هو جميل وما هو قبيح، ولكنَّ الاختلاف حول الحقوق والواجبات والمساواة لا يمكن أن يُردَّ إلى موقف تفضيلي شخصي، بل ينبغي أن يقوم على **توافق عام بين الأفراد** في تقرير ما هو خير وما هو شرّ، وما هو عادل وما هو غير عادل. من جهة أخرى، إذا كانت بعض القيم ذاتيّةً فرديّةً كالقيم الجماليّة، وبعضها عامّة ضمن مجتمع ما كالقيم الأخلاقيّة، فإن القيم العلميّة تتصف بأنها مطلقة وموضوعيّة ولا تتأثّرُ بموقف الأفراد أو تباين المجتمعات واختلاف ثقافاتها، وهذا يعني أنّه ما يصحّ على قيمة من الصفات قد لا يصحّ على أخرى غيرها.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- البحث في القيمة موضوع للعلوم الإنسانيّة والطبيعيّة.

٢- النشاط القِيَميّ نشاط معقّد.

٣- اعتقد الجدليّون أنّ القيم متبدّلة ومتعدّدة في المجتمعات الإنسانيّة.

٤- رفض أنصار النظريّة المطلقيّة ربط القيم بالإنسان.

ثانياً- أجب عن السؤالين الآتيين:

١- قارن بين كلّ من القائِلين بنسبيّة القيم و القائلين بمطلقيّتها.

٢- وضّح مفهوم توافقيّة القيم.

ثالثاً- الموضوع:

حاول القائلون بجدليّة القيم أنْ يوفّقوا بين النظريّتين الذاتيّة والموضوعيّة، ناقش هذا الموضوع وبيّن رأيك.

المراجع:

- العوا، عادل. (١٩٩٣). *لقاء القيم في الفكر العربيّ*. دمشق: دار شمال للطباعة والنشرّ.

- خليل، حامد. (١٩٩٥-١٩٩٦).*مشكلات فلسفيّة*. دمشق: منشورات جامعة دمشق.

- العوا، عادل. (١٩٨٦). *العمدة في فلسفة القيم*. دمشق: دار طلاس.

- رزفير، جان بول. (٢٠٠١). *فلسفة القيم*. ترجمة عادل العوا. بيروت: دار العويدات.

التصنيفُ التقليديٌّ للقيم

الأهدافُ التعليميّة:

يُتَوَقَّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١. يتعرّف بدايةَ التفكير الفلسفيِّ في القيمة.

٢. يتعرّف نظريّة القيم عند أفلاطون.

٣. يقارنَ بين اختلاف الفلاسفة واتفاقهم في تحديد مفهوم الخير.

٤. يتعرّف المعنى النظريّ للحقّ وأشكاله في الواقع.

٥. يشرحَ اختلاف الفلاسفة في تفسير مفهوم الجمال.

التصنيف التقليدي للقيم

قضية للمناقشة:

إنّ فهمَ الإنسان على حقيقته، هو فهم للقيم الثلاثة الكبرى التي تنضوي تحتها شتى المعاني التي تضبط سلوك الإنسان في تجربته الحياتيّة، وهي: الخير والحقّ والجمال، وتقابلها ثلاثة أوجه في حياة الإنسان الواعية، هي: السلوك والإدراك والوجدان.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- كيف تتقابل هذه القيم مع الأوجه المختلفة في حياة الإنسان؟

٢- هل هذه القيم منفصلة عن بعضها في الواقع أو متحدة؟ ولماذا؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً–ولادة مفهوم القيمة:

يعود التفكير الفلسفيِّ في حقيقة القيم في الفلسفة اليونانية إلى السوفسطائيين وسقراط، وكان مرتبطاً بظهور علم الأخلاق الذي وجّه إليه سقراط الجهد الأكبر من فلسفته العمليّة.

أ- إنكار القيم عند السوفسطائيّين:

بدأ التفكيرُ في القيم منذ أعلن **بروتاغوراس**، رائدُ السوفسطائيّة، أنّ «الإنسان هو مقياس الأشياءِ جميعاً، مقياس ما يوجد وما لا يوجد»، أيّ أنّه لا وجود لحقيقة **موضوعيّة** مستقلّة عن الفرد وظروفه، وأنّ مصدر الحقائق هو الإحساسات **الفرديّة** والانطباعاتُ **الذاتيّة**، لذلك فهي متعدّدة ومتغيّرة بتعدّد الأفراد وظروفهم، ومن ثَمَّ فلا وجود لحقّ في ذاته أو باطل في ذاته.

إنّ نظريّة "**الإنسان المقياس**" عند بروتاغوراس نظريّةٌ معرفيّةٌ في الدرجة الأولى، قام السوفسطائيّون اللاحقون به بتوسيع نطاقها لتشملَ **الأخلاق**، فأصبح الفردُ مقياسَ **الخير والشرّ** كما هو مقياس الصواب والغلط، وإذا كانت الحقائقُ نسبيّةً ومتغيّرة فكذلك **القيم والمبادئ** نسبيّةٌ ومتغيّرة، وقابلة **للاختلاف**.

ب- القيمة المطلقة عند سقراط:

لكي يواجه سقراطُ أفكار السوفسطائيّين في مجال الأخلاق كان لا بدّ أن يواجهها أوّلاً في **مجال المعرفة**، فقام بالفصل بين موضوعات **العقل** وموضوعات **الحسِّ**، وعمل على تحليل

الألفاظ وتحديد معانيها، ليتوصلَ إلى **المبادئ الثابتة** التي تقوم وراء الحواس ولا تُدرك إلا بالعقل، وهي حقائقُ **ثابتةٌ ومطلقةٌ**، لا تختلف عليها العقول.

طبّق سقراط نظريّته هذه في مجال **الأخلاق**، ساعياً إلى معرفة **المعاني الأخلاقيّة العامّة** التي تَصْدُق في جميع الأحوال، وإلى تحديد التعريفات الدقيقة للصفات الأخلاقيّة، كالعدالة والعفّة والشجاعة... إلخ، ليتوصّل من بعدها إلى **الماهيَّة** في مجال الأخلاق، بمعنى أنَّها تلك القيمة التي يتوجه نحوها السلوك الإنسانيّ **كغاية قصوى غير قابلة للتغيّر أو التبدّل**.

- كيف تتأسّس القيمة على المعرفةِ عند كلّ من السوفسطائييّن وسقراط؟

ثانياً– ثالوث القيم عند أفلاطون:

أكمل أفلاطون البحثَ عن **المبادئ الثابتة** التي تقف وراءَ المعرفة والسلوك، وتعملُ على **توجيههما**، ولكي يضمنَ أفلاطون ثباتَ هذه المبادئ ورسوخها، فقد **فصَلَها تماما عن عالم الحس والمادّة**، وجعلها **ماهيّاتٍ أومبادئ** ثابتةً قائمة بذاتها في عالم أطلق عليه اسم "**عالم المُثُل**".

تقوم نظريّة أفلاطون على أنّ **الوجود الحقيقيَّ** هو وجود المُثُل، وأنّ الأشياء الموجودة في العالم الماديّ المحسوس ليست سوى **نسخ** عن المُثُل الموجودة في عالمها المستقل، ولكنَّ المُثُل ليست متساويةً في الوجود، بل **متفاوتةً** في الترتيب **ومتسلسلةً** تصاعديّاً **من الأدنى إلى الأعلى** على شكل بناء هرميٍّ، يتربّع على رأسه "**الخير الأقصى**" باعتباره **مثال المُثُل** جميعها، ثمّ يليه "**الحقّ**"، وأخيراً "**الجمال**"، ودون هذه المُثُل الثلاثة تترتّب المُثُل الأخرى، وتقابلها موجودات العالم المحسوس.

أصبحت هذه المُثُل الأفلاطونية الثلاثة العليا **قِيَماً رئيسة** في الفلسفة، تناولها أغلب الفلاسفة في مذاهبهم وتيّاراتهم الفكريّة، واستقلّت لأجلها علوم فلسفيّة تقليديّة اتّخذت من هذه القيم موضوعات لها، فالخيرُ موضوع **علم الأخلاق**، والحقّ موضوع **علم المنطق** ونظريّة المعرفة، والجميل موضوع **علم الجمال**، وما زالت هذه العلوم الثلاثة جزءاً مهمّاً من التفكير الفلسفيّ، **ومكونات أساسيّة** للمذاهب الفلسفيّة الكبرى.

ثالثاً– الخير، Good:

الخير عموماً ضدُّ الشرّ، يرتبط معناه الفلسفيُّ **بكمال وجود الشيء وتمام صفاته**، أمّا الشرّ فهو نقصانُ كمال الشيء.

يقول ابن سينا:«الخير بالجملة هو ما **يتشوّقه** كلُّ شيء **ويتمُّ** به وجوده، وقد يُقال خيراً لما كان نافعاً ومفيداً **لكمالات الأشياء**».

ومن الخير ما هو مطلق وما هو نسبيٌّ، فالخير **المطلق** هو ما يكون مرغوباً **لكلّ إنسان**، كالصحة والسعادة. أمّا **النسبيُّ** فهو ما يكون خيراً لفرد وشرّاً لآخر.

فالمنتصر في المعركة يرى النصر خيراً، بينما يراه المهزوم شرّاً، لذلك يفرّق بعض الفلاسفة بين الخير **بالجوهر**، وهو **المطلق**، والخير **بالعرض**، وهو **النسبيّ**.

ولقد اختلف الفلاسفة في معنى الخير وتعريفه، والتمييز بين جوهره وأعراضه، وقدّموا آراء متعدّدة.منها:

١- سقراط:

اعتقد سقراط أنّ **الفضيلة** هي الخير الأسمى، وأنّها **غايةٌ بذاتها**، ولأنّه يمكن تعلّم الفضيلة بحسب رأيه، فقد ربط بين **الخير والمعرفة**، كما ربط في المقابل بين الشرّ والجهل، وذهب إلى أنّ "العلم فضيلةٌ والجهل رذيلة"، واعتقد أنّ الإنسان لا يفعل الشرّ **مختاراً**، بل نتيجة **جهله** بالخير.

لكنَّ سقراط أهمل العلاقة بين **الخير والإرادة الإنسانيّة**، لأنّه جعل فعل الخير **سلوكاً طبيعيّاً تلقائيّاً** يعتمد على المعرفة، من دون أنْ تتدخّلَ فيه الإرادة الإنسانيّة، ولم يتنبّه إلى أنَّ بعض الأفراد يعرفون الخير معرفة تامّة لكنّهم ينصرّفون عنه، ويعرفون الشرّ ولكنَّ معرفتَهم به لا تَحُول بينهم وبين الوقوع فيه.

٢- أرسطو:

رفض أرسطو موقفَ سقراط في التوحيد بين المعرفة والفضيلة، كما رفض أنْ تكون الفضائل **غايات** بذاتها، بل **وسائلَ** يتّبعها الفرد ليصلَ إلى **الخير الأسمى** أو السعادة.

واعتقدَ أنّ في الطبيعة البشريّة جانبين، أحدهما **عقليٌّ** والآخر **غير عقليّ**، فالإنسانُ قد يكون عارفاً بالخير، لكنَّ الشهوة إذا **سيطرت عليه وأفقدته رشده**، فإنّه يفعل الشرّ رغم معرفته بالخير.

كما اعتقد أنّ الخير أساسُ **الفضائل وغايةُ الغايات جميعاً**، وإليه ينبغي أن تتوجّه الأفعالُ، ومن هنا يؤكد أرسطو على أهميّة التربية في **التعوّد على فعل الخير**، لأنّه الطريق الأصلح في تعلّم

العادات الحسنة، وإذا ما استطاع الإنسان التعوّد على فعل الخير فإنّه **سيزاول الفضائل** من دون عناء، وستقترن مزاولتها بالمتعة التي يشعرها الإنسان الخيّر الفاضل.

- ما النقد الذي وجّهه أرسطو إلى مفهوم سقراط عن الخير؟

٣- مسكويه:

الخير عند مسكويه هو **ما يبلغ به الإنسانُ كمال وجوده**، وهو ما **تشتاقه** النفوسُ الطيّبةُ **وتقصده** في أفعالها، وحظُّ الناس من الخير ليس واحداً بل متفاوتاً، فهم **ثلاث فئات:** فئة **خيّرة بالفطرة**، وأخرى **شرّيرة بطبيعتها** لا تعرف الخير أبداً، وبينهما فئة متوسّطة **تتردّد بين الخير والشرّ** وفقاً لأساليبِ التربية والتأثّر بالآخرين.

والخير عند مسكويه **عامٌّ ومطلق** في الأصل، وهو الموجود الأعظم والخير المحْض والمعشوق لذاته، أمّا ما يتعين في حياة الإنسان من خيرات فهي **نسبيّةٌ وذاتيّةٌ**، تختلف باختلاف الأفراد والأحوال، لذلك يفرّق مسكويه بين الخيرات، فمنها ما هو **مطلق** يُطلبُ لذاته كالخلق الحسن، ومنها ما هو **محدود** يُطلب لنفعه كصحة البدن، ومنها ما هو **غايةٌ** في ذاته كالسعادة الروحية، ومنها ما هو **وسيلةٌ** لغيره كالرزق الوفير.

٤- كانط:

الخير الأسمى عند كانط هو ما تحقّقه **الإرادة الخيّرة الحرّة** عندما تعمل بمقتضى **الواجب لذاته** من دون النظر إلى نتائجه، فالإرادةُ الخيّرةُ عنده هي الشيء الوحيد الذي يمكن أنّ يُعدَّ **خيراً من دون قيد أو شرط**، وهي خير **مطلق في ذاته** يتخطّى الظروف والأحوال، بغضّ النظر عن علاقته بغيره من الأشياء.

غير أنّ الإرادة الخيّرة عنده ليست هي الخير الوحيد؛ إذ يوجد أشياء أخرى تكون خيراً في حالات معيّنة، وهي شرّ عندما **يُساء استعمالها وتُسخّر لأغراض سيّئة**، كمواهب العقل وهبات الحظِّ، ومثلهما المال والجاه.. إلخ.

رابعاً – الحقّ، Right - True:

الحقُّ في اللغة هو **الثابت** الذي لا يمكن إنكارُه، **واليقين** بعد الشكِّ، **والواجب** تجاه الغير، **والمِلك** المشروع، **والصدق** في القول.

وتجري كلمة الحقّ في كلام الناس بمعان متعدّدة، تُعرف في سياق استعمالاتها ومقاصدِ المتكلّم منها، أمّا في الفلسفة فالحقُّ **قيمة** تتنوّع دلالاتُها بتنوّع مجالات الفعل والفكر، وتتلخَّص هذه **الدلالات** على النحو الآتي:

١- الحقُّ في المنطق والمعرفة:

يُطلق الحقُّ على **الموجود الحقيقيِّ** غير المُتوهَّم، ويُطلق في المعرفة على الحكم الذي **يُطابق الواقع**، وفي المنطق يرادفه **الصدق**، أمّا النقيض منهما فهو **الباطل والكذب**.

ويشيرُ جميل صليبا إلى أنّ الحقَّ والباطلَ يُطلقان على **المعتقدات**، بينما يطلق الصدقُ والكذبُ على **الأحكام المنطقيّة** التي يستخلصها العقلُ بالاستنتاج والاستدلال.

والحقُّ عند ديكارت هو **ما يجب التسليمُ به** لوضوحه وبداهتهِ ومطابقتهِ للمبادئ العقليّة.

٢- الحقُّ القانونيُّ:

هو الفعل المطابق **لقاعدة** مُحكمة، أو **لقانون** طبيعيٍّ أو وضعيٍّ. والحقُّ يستدعي التنفيذ، وتفرضه القوانين والعقود، كحقّ الدائن في استرداد دينه، وحقّ العامل في الحصول على أجره.

والحقُّ أيضاً هو **ما تسمح به القوانين**، سواء كان ذلك السماح **صريحاً** كحقّ المواطن في التعلّم والعمل، أو **مضمراً** من دون أن يُنصّ عليه صراحةً كحقّه في التملّك وإبرام العقود.

والحقُّ والواجب **قيمتان متضايفتان** إلى بعضهما البعض، فما هو **واجب** على طرف يكون **حقّاً** للطرف الآخر، فإذا وجب على المَدين أن يوفي الدائن، فإن استرجاعَ دَينِه حقٌّ للثاني.

ويُفرّق المشرّعون والحقوقيون بين **الحقوق الطبيعيّة والحقوق الوضعيّة**، فالحقُّ الطبيعيُّ هو مجموعة الحقوق اللازمة عن **طبيعة الإنسان** من حيث كونُه إنساناً، كالحقِّ في الحياة والحرّيّة؛ أمّا الحقّ الوضعيّ فهو **الحقوق المنصوص عليها** في القوانين المكتوبة والأعراف والتقاليد العامّة، كالحقوق المدنيّة والحقوق السياسيّة.

- اذكر بعض الأمثلة على استخدامك لكلمة الحقِّ كقيمة.

خامساً- الجمال Beauty:

لا يمكنُ، من الناحية اللغويّة تعريف الجمال من دون ربطه بالجميل، فالجمالُ هو الخاصيّة المُحدّدةُ للأشياء الجميلة، والجميل في أصل اللغة هو **موضوعُ الصورة الحسيّة** المُدركة بالعين، سواءٌ كانت إنساناً أم حيواناً أم نباتاً أم جماداً، أي أنّه صفة للموضوعات التي تُدرك

الإبصار، ولكنّه قد يتعدّاها إلى **موضوعات الحسّ الأخرى**، فالموسيقا الجميلة هي ما **يروق الأذن** سماعُها، والرائحة الجميلة هي ما يبعث في النفس **النشوة والقبول**، كما يجوز إطلاقه على الموضوعات غير الحسيّة التي تُدرك **بالبصيرة**، كالقصة الجميلة والقصيدة الجميلة والخُلق الجميل.

ولقد وضع أفلاطون الجمالَ في **أسفل ثالوثه القِيَمي** بعد الخير والحقّ؛ لأنّه اعتقد أنَّ الجمال أقرب المثل الثلاثة للمادّة المحسوسة، أمّا الفلاسفة الإسلاميون فقد فرّقوا بين الجمال **المعنويّ** والجمال **الصوريّ**، وقدّموا النوع الأوّل على الثاني، وذهب المتصوّفة إلى أنّ الجمال الحقيقيّ هو **الجمال الإلهيّ**، وهو الصفات الأزليّةُ التي شهدها الله في نفسه،ومنه يُشتقُّ **جمال العالَم** من جهةِ أنه تجلٍّ عن جمال الذات الإلهيّة.

أمّا في الفلسفة الحديثة والمعاصرة فقد اختلف الفلاسفة في تحديد الجمال ومعرفة الجميل، ونشأتْ عن اختلافهم **ثلاثةُ اتجاهات** في تفسير طبيعة الجمال:

١- الاتجاهُ الموضوعيّ:

يتفق أنصارُ الاتجاه الموضوعيّ على أنَّ الجمال **صفة موضوعيّةٌ خارجيّة** عن الذات، تكون إمّا في الأشياء الحسيّة **(موضوعيّة ماديّة)**، أو في عالم مفارق للواقع **(موضوعيّة مثاليّة)**، ومن أهمِّ أنصار هذا الاتجاه أفلاطون الذي يُعيد الجمال إلى طبيعة مثاليّة **مفارقة** لعالم المحسوسات، ويفرّق بين جمال **مثاليّ مطلقٍ** في عالم المُثُل الذي لا يتغيّر، وجمالٍ **حسيّ نسبيٍّ** موجود في العالم الأرضيّ، وهو صورةٌ عن الجمال الأوّل تكون أدنى مرتبة منه، ويقوم الجمالُ في الحالتين على **التناسب والتناسق والانسجام**.

ويكاد يتّفق أرسطو مع أفلاطون في رأيه في الجمال، فمعايير الجميل عنده هي **الترتيب والتناسب والوضوح**، ولكنّه اختلف عن أستاذه فقال بالجمال **الواقعيّ الحسيّ فقط**، وهو صفة الموضوعات والأشياء، ولا يقع في عالم منفصلٍ عن عالم الإدراك الحسيّ.

وفي عصر التنوير، قدّم ***إدموند بوركه*** في القرن الثامن عشر مجموعة **صفات موضوعيّة**، تصبح الأشياء جميلة عندما تتّصف بها، وهذه الصفات هي: **الضآلة، والصغر، والصقل، والتغيّر المتدرّج، والرِّقة، والنعومة، وصفاء اللون.**

٢- الاتجاهُ الذاتيُّ:

يذهبُ أنصارُ الاتجاه الذاتيِّ إلى أنّ **الجميل ليس صفةً في الأشياء ذاتِها**، فلا يكون الشيء جميلاً إلا بوجود الذات التي **تشعر بجماله وتستمتع به**؛ لذلك فالجمال **حالةٌ شعوريّةٌ** موجودة فقط في ذهن الإنسان القادر على **تذوق** الجمال.

ويمكن إعادة هذا الاتجاه إلى سقراط الذي ربط بين الجمال **وعناصرَ ذاتيّة** أخرى، كالخير والمنفعة، فالأشياء المفيدة جميلة من وجهة نظر سقراط حتّى لو بدت قبيحة بحدٍّ ذاتها، أي أنّ جمال الأشياء لديه يرتبط **بعلاقتها بالذات الإنسانيّة**.

وفي القرن الثامن عشر، ذهب ***هيوم*** إلى أنّ أساس الجمال هو **الذاتيّة والنسبيّة**، وليس له أيّ أساس موضوعيّ خارجيّ، فالجمال عنده **ليس صفةً متحقّقةً في الأشياء**، بل هو انطباع في **وعي الإنسان** يتلقّاه بوساطة **حواسه** التي تُعيّن الصفات الجماليّة في الأشياء الموجودة من حوله.

- أعط مثالاً لجمال موضوعيّ وآخر ذاتيّ.

٣- الاتجاه الجدليّ:

يقوم الاتجاه الجدليّ على **التوفيق** بين أثر كلّ من الذات والموضوع في تحديد الجميل والشعور به، فالجمال لدى أنصار هذا الاتجاه هو **علاقة تفاعليّة** بين **الذات** التي تكتشف الجمال وتشعر به، وبين **الموضوع** الذي يتّصف بصفات مستقلّة تجعله قادراً على توجيه الذات نحوه وجذبها إليه.

ومن أهم أنصار هذا الاتجاه ***فردريك شيلر*** (١٧٥٩-١٨٠٥م) الذي يرى أنّ الجميلَ هو **موضوع** للذات الإنسانيّة، ولكنه في الوقت نفسه **حالةٌ مستقلّة** عنها، وهو بحسب تعبيره «**الشكلُ الذي يتضمّن الحياة**»، فهو ليس حياة من دون شكل، ولا شكلاً دون حياة، بل هو **التركيب والتأليف** بينهما، ويقوم هذا التركيب على أساس **التوازن** بين مجموعة القُوى **الماديّة والحسيّة** (التي تتصف بالموضوعيّة) ومجموعة القوى **الفكريّة والتصوريّة**(التي تتصف بالذاتيّة).

أمّا الشاعر الألمانيّ ***غوته***، فقد دعا إلى فهم الجميل عبر ربط قوانين علم الجمال **بالطبيعة** من جهة، **وبالواقع الإنسانيّ** الاجتماعيّ من جهة أخرى، لأنّ الجمال يبرز حين **نعاين** حيويّة الواقع وقوانينَه في أعظم لحظات **نشاطه وكماله**، ونشعر بالمقابل أنّنا نملك إزاءه

أعظم نشاط وحيويّة؛ لذلك فالجمال عند ***غوته*** هو شيء **حيٌّ ومنتظم** قائم في **الموضوع** يطابقُ شيئاً **منتظماً** قائماً في **الذات**.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- فَصَلَ أفلاطون المبادئ الموجّهة للمعرفة والسلوك عن عالَم المادّة.

٢- معرفة الإنسان الخير وعدم فعله بحسب أرسطو.

٣- الحقُّ والواجب قيمتان متضايفتان إلى بعضهما البعض .

٤- ذهاب أنصارِ الاتجاه الذاتيّ إلى أنَّ الجمال ليس صفةً في الأشياء.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- كيف اتفق مسكويه في مفهوم الخير مع أرسطو من جهة، ومع كانط من جهة أخرى.

٢- قابلْ بين الحقّ الطبيعيّ والحقّ القانونيّ؟

٣- بيِّن اتجاه كلّ فيلسوف مما يأتي في تحديد مفهوم الجمال بين الموضوعيّ والذاتيّ والجدليّ:

سقراط – أفلاطون – أرسطو – شيلر – هيوم.

ثالثاً- الموضوع:

حاول الاتجاه الجدليّ التوفيق بين كلّ من الذات والموضوع في تحديد طبيعة الجمال وعلاقته بالشعور، ناقش هذا الموضوع من خلال مناقشتك للاتجاهين الذاتيّ والموضوعيّ، ثمّ بيّن رأيك.

المراجع:

-الطويل ، توفيق .(١٩٩١). *فلسفة الأخلاق*، دار النهضة العربيّة.

-قنصوه ، صلاح. (١٩٨٦). *نظريّة القيمة في الفكر المعاصر*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

-بدوي، عبد الرحمن. (١٩٨٤).*موسوعة الفلسفة*. بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.

التصنيفُ المعاصرُ للقيم

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتَوَقَّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطةِ الدرس أن:

١. يدركَ سبب اهتمام الفلاسفة المعاصرين بالقيمة وأنواعها.

٢. يتعرَّفَ تصنيفَ شيلر للقيم.

٣. يدركَ العلاقة بين تصنيف القيم ووظيفتِها عند لافيل.

٤. يستنتجَ العلاقة بين تصنيف القيم والنشاط الإنسانيّ عند اشبرانجر.

٥. يثمّن أهميّة القيمة في حاضر الإنسان ومستقبله.

التصنيفُ المعاصرُ للقيم

قول للمناقشة:

يقول ***توفيق الطويل:*** «نريد أنّ نؤكّد أنّ الخلاف بين الفلاسفة في شأن القيم الأخلاقيّة، إنّما كان في تفسيرها وتحليلها ومنهج بحثها لدراسة مضمونها، وبعد هذا الخلافِ يلتقي جميع فلاسفة الأخلاق فوق أرض واحدة، وتحت راية واحدة، تقديراً للقيم الأخلاقيّة واستغراقاً في إكبارها». **(توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق)**

ناقش زملاءَك في الأسئلة الآتية:

٣- لماذا اختلف الفلاسفة في تفسير القيم؟

٤- هل يمكنُ وضع تصنيف ثابت ونهائيٍّ للقيم في رأيك؟

٥- ما أهمُّ ثلاث قيم، في حياتك؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- تفسير القيمة في الفلسفة المعاصرة:

يشعر أغلب الناس بالقلق إزاءَ المخاطر التي تهدّد بتهدّم القيم وزوالها في عالمنا المعاصر، ويُرجِع الفلاسفةُ سبب هذا التهديد إلى **التحوّلات الاجتماعيّة** العميقة والمتسارعة التي نشأت عن التطبيقات العلميّة المتزايدة، ومكّنت الإنسان من امتلاك **قُوى متفوّقة،** قد تكون مدمّرة إذا لم يتمّ توجيهها بشكلٍّ صحيح نحو أهداف خيّرةٍ وقيم إنسانيّةٍ عُليا.

لذلك تسعى الفلسفة إلى إزالة **الاضطرابِ والتخبط** في تحديد مقاييس القيمة ومستوياتها، عبر الوصول إلى مبادئ عامّة لأنواع القيم **تحظى بالقبول** لدى الجميع، **وتوجّه السلوك** البشريَّ نحو ما يحافظ على المدنيّة الحاضرة، ويصون مستقبلها.

ويؤكد الفيلسوف العربي المصري **زكي نجيب محمود** أنّ القيم تحتل في الإنسان مكانة **الربّان في السفينة؛** لأنّها توجّهه عن قصد مدرَك ومرسوم، وتنتهي به إلى غاية محدّدةٍ ومعلومة؛ لذلك فإن فهم الإنسان على حقيقته هو فهم القيمةِ التي **تمسك بزمامه وتوجّهه.**

ثانياً– تصنيف ماكس شِيلر للقيم:

كان الفيلسوف الألماني ماكس شيلر من المتأثرين بـــ"إدموند هوسرل"، الذي كان يسعى إلى تأسيس علم فلسفيّ دقيق هو الفينومينولوجيا (أي: علم وصف الظواهر الشعورية)، والفكرة الرئيسة التي تقوم عليها الفينومينولوجيا أو الظاهريّات هي الرجوع إلى الأشياء ذاتها، أي الرجوع إلى الوقائع المحضة أو الأشياء في براءتها الأولى دون التأثُّر بالأحكام السابقة المتعلقة بها. وقد كان للمنهج الفينومينولوجي تأثيره الكبير في فلسفة القيم عند شيلر، الذي وضع نظريّته في القيمة على **أساس فينومينولوجي(ظاهريَّاتيّ)**، وعُني بالقيم الَّلاصوريَّة (الماديَّة)، وذلك في مقابل القيم الصوريَّة التي اهتمَّ بها **كانط** الذي يأخذ عليه **شيلر** أنّه أهملَ دورَ العاطفة في الأخلاق.

والقيم في منظور **شيلر** هي تلك **الماهيّاتُ التي لا يمكن إدراكها عن طريق العقل**؛ لأنّ الفهمَ يعجز عن الإحاطة بها؛ لذلك فإنّها تُدرك عن طريق **الحدس الانفعالي أو الحدس الوجدانيّ**، وتكون معطاةً بطريقة مباشرة للوجدان.

ويرتِّب شيلر القيم في الدرجات الآتية من الأدنى إلى الأعلى:

١- **القيم الحسيّة:** وتشمل قيم الملائم وغير الملائم، وهي تختلف باختلاف الأفراد، وترتبط بوظيفة الشعور، وتتوجّه نحو الموضوعات اللاعضويّة (الماديّة).

٢- **القيم المدنيَّة:** تشمل قيم النافع والضَّار.

٣- **القيم الحيويّة:** وتشمل قيمَ الرفيع والوضيع، النبيل والمبتذل، والصحيّ وغير الصحيّ، ويمكن إرجاع القيم الحيويّة إلى القيم الحسيّة، لأنَّه يصعب التفريق بينهما.

٤- **القيم الروحيّة:** وتشمل قيم الجميل والقبيح، والعادلِ وغير العادل، وتدخل تحت هذه الفئة كلُّ القيم الجماليّةِ والعقليّةِ والقانونيّةِ، وتكوّن في مجموعها ما يُعرف باسم "المنظومة الثقافية" بمضمونها العامِّ والواسع.

٥- **القيم الدينيّة:** وتشمل قيم المقدّس، والمحبَّة، وتتجه نحو الله وموضوعات العقيدة، وهي أعلى القيم وأسماها، وتمثّل الدعامة التي تعتمد عليها القيم الأخرى.

ولم يدخل شيلر القيم الأخلاقيّة في أيّة فئة من الفئات، لأنّه يعتقد أنّ **الأخلاق تنحصر في تحقيق القيم الأخرى**، ويوضّح أنّه يمكن توزيع القيمِ السابقة في مجموعَتين، الأولى "**قيم**

شيئية" تشمل الخيرات بوصفها موضوعات ذات قيمة وتتصل بالحضارة والاقتصاد والإنتاج، والثانية "**قيم شخصيّة**" تشمل الفضائلَ الأخلاقيّة الفرديّة.

- حدّدِ القيم الشيئيّة والقيم الشخصيّة حسب تصنيف شيلر؟

ثالثاً- تصنيف لافيل للقيم:

يؤسّس لافيل نظريّته في القيم على أساس **روحيّ مثاليّ**، وتهدف فلسفته القِيَميّة إلى الدفاع عن القيم ضد الخطر الذي أصبح يتهدَّدها في حياة الإنسان المعاصر؛ لذلك فهو ينتقد وجهة نظر الوضعيّة المنطقيّة التي **أنكرت القيم** بحجة استحالة التحقّق التجريبيّ من وجودها، ويؤكّد أنّ القيم ليست **موضوعاً** للعلم التجريبيّ، بل ترتبطُ بالمعنى العميق **للوجود الإنسانيّ**، وتؤسّس **لتجربة الإنسان في الحياة** التي تقوم على الحرّيّة والمسؤوليّة والمشاركة.

ويصنّفُ لافيل القيم في **مستويات ثلاثة**، تتحدّد بوساطة موقع الإنسان بالنسبة إلى العالَم، على النحو الآتي:

١- قيم الإنسان في العالَم:

يشمل هذا المستوى **القيمَ الانفعالية** التي ترتبط بالجانب **الذاتيّ**، وتنطوي على تقدير الإنسان لكلِّ ما ينفعه أو يضره كفرد، فيحقّق له اللذة أو الألم.

كما يشمل هذا المستوى **القيم الاقتصاديّةَ** أيّضاً التي ترتبطُ بالجانب **الموضوعيّ**؛ لأنّها تخضع لشروط الجسد الموضوعيّة.

٢- قيم الإنسان أمام العالَم:

يشمل هذا المستوى **القيمَ الجماليّة** التي ترتبط بالجانب **الذاتيّ**، وبها ينفصل الإنسان عن مصلحته الفرديّة، وينظر إلى العالَم نظرة تأمليّة، فيتأثر به ويتمتّع بحضوره المحض.

ويشمل أيّضاً **القيم العقليّة** التي ترتبط بالجانب **الموضوعيّ**، وبها يتجلى العالم للإنسان من زاويته الحقيقيّة.

٣- قيم الإنسان فوق العالَم:

يشمل هذا المستوى **القيمَ الأخلاقيّةَ والقيمَ الروحيّةَ والدينيّةَ**، وفيها **يتجاوز** الإنسان الجانبَين الذاتيَّ والموضوعيّ، لأنّها تتعلّق **بالمطلق**، وبشعور الإنسان بالرضا في خضوعه لهذا المطلق.

وعليه، إنّ تصنيف لافيل للقيم **تصاعديٌّ** يوضّح ارتقاء الإنسان من قيمه التي يكون فيها **منغمساً في العالم**، إلى قيم أخرى تجعله **متأمّلاً فيه وعارفاً به**، لينتقلَ أخيراً إلى القيم التي تمكّنه من التسامي فوق العالم، فيستطيع **التحرّر منه وتغييره**.

- حدّد القيم الذاتيّة والموضوعيّة والمطلقة في تصنيف لافيل؟

رابعاً- تصنيف اشبرانجر للقيم:

يؤكد الألمانيُّ ***إدوارد اشبرانجر*** العلاقة الوثيقَة بين أفعال الإنسان وقيمه، ويركّز على المستوى الأعلى من الأفعال الإنسانيّة، وهي تلك الأفعالُ التي لا ترتبط بأهداف الإنسان البيولوجية كالتناسل وحفظ الذات، بل بأهدافٍ إنسانيّةٍ نموذجيّةٍ توجّه نشاط الإنسان نحو قيم معيّنة، فحدّد ستة أبعاد للقيمة الإنسانيّة، على النحو الآتي:

١- القيمة النظريّة:

تقوم بتوجيه فعل الإنسان نحو الحقيقة، وتتجلّى في المعرفة التي تطوّرت وتشعّبت مع تطوّر النوع الإنسانيّ، ويسعى الإنسان العارفُ إلى اكتشاف الحقيقة وتعميمها بغض النظر عن المنفعة أو الجمال فيها.

٢- القيمة الجماليّة:

يسعى الإنسان بشكلٍ فرديٍّ وراء الجمال، عبر اكتشافه والاستمتاع به، فيهتمّ بالتناظر والتناسب والانسجام، ويتأمّل الحوادث والظواهر الجميلة في الحياة، فيستمتعُ بها بحدِّ ذاتها، ويقومُ بإعادةِ إنتاجها في الفنون الجميلة.

٣- القيمة الاقتصاديّة:

تقوم بتوجيه الإنسان نحو الفائدةِ والنفع، وتتجلّى في العملِ الإنسانيّ المنتج، وهو الجهدُ الذي يبذلُه الإنسان لتحقّيق نتائج عمليّة مرتقبة.

٤- القيمة الدينيّة:

تقوم بتوجيه فعل الإنسان الدينيِّ نحو الوحدة، فيتوجّه إلى فهم الكون من حيث إنّه وحدة وكلٌّ متصلٌ، وأن وراءه مبدأً واحداً مطلقاً، فيسعى إلى الاتصال بهذا المبدأ.

٥- القيمة الاجتماعيّة:

تقوم بتوجيه فعل الإنسان نحو التواصل مع الآخرين، وتتجلّى في محبة الناس والتعاطف معهم، ويرى اشبرانجر أنّ الحبَّ هو الصورةُ الوحيدة الملائمة للتواصل الاجتماعيّ بين الأفراد.

٦- القيمة السياسيّة:

توجّه هذه القيمة فعل الإنسان نحو امتلاك القوّة والسلطان، ولا تقتصرُ هذه القيمة على السلطة السياسيّة، بل تتعدّاها إلى سائر المجالات، كالسلطة الوظيفيّة والماليّة وغيرها.

ويؤكّد اشبرانجر أنّ الإنسان الفرد لا ينتمي بصورة خالصة إلى هذه القيمة أو تلك، لأنّها قيمٌ نموذجيّةٌ عامّةٌ، تتواجد جميعها في الشخصيّة الإنسانيّة، وإنْ بشكل متفاوت بين الأفراد.

- اذكر فعلاً مناسباً يقابل كلَّ قيمة من القيم السابقة.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- تُدرك الماهيات عند شيلر عن طريق الحدس الوجدانيّ.

٢- القيم الأخلاقيّة مطلقة عند لافيل.

٣- لا ينتمي الإنسان إلى قيمة من دون أخرى من القيم التي وضعها اشبرانجر.

ثانياً- أجب عن السؤالين الآتيين:

١- اشرّح كيف صنّف لافيل القيم بناءً على موقع الإنسان إزاء العالَم.

٢- قارن بين القيمة النظريّة والقيمة الجماليّة عند اشبرانجر.

ثالثاً- الموضوع:

يؤسس *شيلر* نظريّته في القيمة على أساس فينومينولوجي(ظاهريَّاتيّ)، بينما يؤسّس لافيل نظريّته في القيم على أساس روحيّ مثاليّ. ناقش هذا الموضوع. وبيِّن رأيك.

المراجع:

- روية، ريمون.(١٩٦٩). *فلسفة القيم*. ترجمة عادل العوا.
- إبراهيم، زكريا.(١٩٦٦). *المشكلّة الخُلُقيّة*. القاهرة: دار نهضة مصر للنشر.
- إبراهيم، زكريا.(١٩٦٨). *دراسات في الفلسفة المعاصرة*.
- الطويل، توفيق.(١٩٩١). *فلسفة الأخلاق*، دار النهضة العربيّة.
- قنصوه، صلاح.(١٩٨٦). *نظريّة القيمة في الفكر المعاصر*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الوعي القِيَميٌّ

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتَوَقّعُ من الطالب بعد تنفيذ أنشطةِ الدرس أنْ:

١. يتعرّف معنى الوعي الأخلاقيِّ.
٢. يقارن بين آراء بعض الفلاسفة في تحديد مصدر الوعي الأخلاقيّ.
٣. يتعرّف الوعي الجماليّ وارتباطه بالفلسفة.
٤. يميّز بين الوعي الجماليّ والوعي الفنّي.
٥. يدرك تعدّد أوجه العلاقة بين الفنّ والأخلاق.

الوعي القِيَميّ

قضية للمناقشة:

يمارس الناس القيم كسلوك تلقائيّ مباشر، وينبغي أن يكون كلٌّ منهم واعياً بمصدر هذه القيم أو طبيعتها؛ لذلك يؤكّد الفلاسفة على أن الشعور بالقيم سابق على الوعي بها، فالإنسان يشعر بالجمال قبل أن يدرك طبيعته وشروطه، ويلتزم بالسلوك الأخلاقيّ قبل إدراك ماهيَّةِ الأخلاق، وقبل الشعور بالإلزام الخلقي الصادر عن الضمير والإرادة.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١. هل الشعور الجماليّ سابق على الوعي الجماليّ أم الضدّ؟ ولماذا؟
٢. بماذا يختلف الوعي الجماليّ عن النشاط الفنّي؟
٣. هل تُشترط معرفة الأطفال بالضمير لكي يسلكوا سلوكاً أخلاقيّاً؟ ولماذا؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- الوعي الأخلاقيّ:

ينطوي الوعي في أصله على **المعرفة والإدراك**، وعلى تمثّل هذه المعرفة في **السلوك الإنسانيّ** المباشر؛ لذلك يُوصفُ الوعي بأنّه **إعادة إنتاج التجربة الإنسانيّة** العفويّة والمباشرة بعدما يكون الإنسانُ قد أدرك طبيعتها وشروطها وارتباطها بطبيعته البشرية.

وُجِدَت الأخلاق في حياة الإنسان منذ القدم، وكان وجودُها **سابقاً** على كلِّ الدراسات والمباحث التي انشغلت بدراسة الشعور الأخلاقيِّ وقيمه ومستوياته، ثمّ نشأ الوعي الأخلاقيُّ في **مرحلة متقدّمةٍ** من التطوّر العقليّ للنوع الإنسانيّ، ليكشف عن القيم المثاليّة الموجّهة للسلوك، وعن القواعد والقوانين التي تفسّره وتُلزم الإنسان به.

ولقد وضع الفلاسفة نظريّات متعدّدة حاولوا بوساطتها الكشفَ عن طبيعة هذا الوعي وسماته، وسنعرض فيما يأتي أهمَّ آراء هؤلاء الفلاسفة:

١- روسو:

يرى روسو أن وعينا الأخلاقيّ صادرٌ عن **نداء داخليٍّ** فينا يُمكّننا من التّمييز بين الخير والشرّ، ويتأسّس هذا النداء الداخليُّ على **مبدأ فطريٍّ** يمنح الإنسان القدرة على إدراك

العدالة والفضيلة، وعلى إطلاق الحكم الصحيح والعادل، مهمَا اختلفت الظروف وتبدّلت الأحوال.

وبما أنّ الوعي الأخلاقيّ صادر عن مبدأ فطريّ، فقد رأى روسو أنّ الوعي الأخلاقيّ ليس صفةً **يتّصف بها فردٌ دون آخر**، ولا خاصيّة **تميّز فئةً** عن غيرها من الفئات، بل هو صوت الضمير الذي **يمتلكه كلُّ الناس** بغضّ النظر عن انتماءاتهم ومستويات إدراكهم؛ لذلك فإنّ ما يدفع الناس إلى محبّة الخير وفعله، هو **إدراكهم الفطريُّ والمباشر له.**

٢- كانط:

ذهب كانط إلى أنّه يجب تأسيس مبادئنا الأخلاقيّة على **العقل وحده**، وليس على التجربة أو العاطفة؛ لأنّ العقل هو **المصدر الوحيد** لفكرة الواجب التي تُحتّم على الإنسان الالتزام بالسلوك الأخلاقيّ تجاه غيره.

لذلك عمد كانط إلى صياغة قواعده الأخلاقيّة على صورة أوامر ونواه **كليّة وضروريّة وثابتة**، ومُستمَدة من العقل نفسه؛ إذ ليس ثمةَ مبررٌ للالتزام بالواجب الأخلاقيِّ إلا **فكرة الواجب نفسها**، لذلك يجبُ على الإنسان، بحسب كانط، أنْ يفعل الواجب **لأنّه واجب**، بغض النظر عن ضرره أو نفعه. ويظهر ذلك في قاعدته الشهيرة التي تقول:

« **تصرّف دائماً بالشكلّ الذي يجعلك تعامل الإنسانيّة في شخصك، كما تعاملها عند كلِّ الناس دائماً كغاية لا كمجرّد وسيلة**».

رفَضَ كانط **أخلاق التجربة** لأنّها ترتبط بالواقع وبما هو كائن، ومن ثمَّ فهي **متغيّرةٌ ونسبيّةٌ**، أمّا أخلاقُ العقل فترتبط بما يجب أن يكونَ، لذلك فإنّها تكتسب صفة **الإطلاقيّة**، وهذا ما جعل كانط يقرّر أنّ العقلَ هو **منبع الأخلاق**، لأنّه ذو قانون **كلّيٍّ وكونيٍّ**، ولأنّ أوامره **مطلقةٌ وملزِمةٌ** لجميع الناس.

٣- دوركهايم:

يختلف دوركهايم عن كلّ من كانط و روسو بردِّه الوعي الأخلاقيَّ إلى **الممارسة الاجتماعيّة**، والواجب الأخلاقيُّ عنده مُستمدٌّ من **سلطة المجتمع وإكراه القوانين والمؤسسات المجتمعيّة**. لكنّه يعتقد أنّ قيام الإنسان بالواجب ليس بسبب خضوعه للسلطة الاجتماعيّة فحسب، بل ينطوي أيضاً على **تحقيق رغبة الفرد ذاته.**

إذن يتكوّن الواجب عند دوركهايم من عنصرين اثنين، هما: **الإلزام والرغبة**، ويستمدُّ الإلزام سلطته من **الضمير الجمعيّ المتعالي علينا كأفراد**، أمّا الرغبة فهي **ميل ونزوع** يدفع الإنسان إلى القيام بالواجب، ولذلك يصف دوركهايم الواجب بأنّه: «**إلزام مرغوب فيه**».

يتبيّن لنا بعد عرض آراء الفلاسفة السابقين أنه سواء أكان مصدر الوعي الأخلاقيّ هو العقل أو الضمير أو المجتمع، فإنّ أهميّته تبقى واحدة من حيث إنّه **عنصر ضروريّ لتوافق الإنسان مع ذاته أوّلاً، ومع المجتمع ثانياً.**

- ما مصدر الوعي الأخلاقيّ عند كلّ من كانط وروسو ودوركهايم.

ثانياً– الوعي الجماليّ:

الوعي الجماليّ فاعليّة إنسانيّة **متأخرة** عن الإحساس الجماليّ؛ وذلك بسبب **تأخّر الوعي عن الإحساس** عموماً، وقد ارتبط الوعي الجماليّ بالفلسفة بصورة وثيقة؛ إذ يُعدّ علم الجمال (أو الاستيطيقا– Aesthetics) أحدَ المباحث الفلسفية، وهو **العلم الذي يبحث في المبادئ العامّة للموقف الجماليّ الإنسانيّ إزاء الواقع الطبيعيّ، أو الفنون المصطنعة في مختلف أشكالها.**

ويهدف هذا العلم إلى تحليل **المفاهيم والتصورات الجماليّة**، وإلى دراسة المسائل التي يثيرها تأمّل موضوعاتِ التجربةِ الجماليّةِ، **كالقيم والأحكام والقوانين** التي تحدّد الجمال، وإلى الكشف عن العلاقة بين **الذات المتذوقة للجمال** وبين **الموضوع الجميل** الذي تتوجّه له هذه الذات.

ولقد نشأ الوعي الجماليّ وتطوّر عبر مرحلة طويلة من تطوّر الوعي الإنسانيّ عموماً، وذلك نتيجة **تعقّد الخبرات الإنسانيّة** عبر التاريخ البشريّ وانتقالها **من البسيط إلى المركّب**، ويمكن التمييز في هذه الرحلة الطويلة للوعي البشريّ بين ثلاث مراحل عَمِلَتْ على اكتمال **الوعي الجماليّ** وتمايزه عن أنماط الوعي الأخرى وهي:

- **المرحلة الأولى:**

تطوّر عمليّات المعرفة واكتمالها في الذهن الإنسانيّ، وانفصالها المتزايد عن الوعي البدائيّ، وقد أدّى هذا التطوّر إلى نشوء **المعرفة العلميّة**، واستقلالها عن **الأحكام التقويمية** والممارسة العمليّة.

- **المرحلة الثانية:**

تخطّي الطابع المشوّش والمختلط للوعي القِيَميّ عبر قدرة الإنسان على **التمييز** بين مجموعتين من القيم، هما: **القيم الماديّة والقيم الروحيّة**، وعبر تصنيف قيم كلّ مجموعة بمفردها، فالقيم الماديّة إمّا **استعماليّة أو نفعيّة**، أمّا القيم الروحيّة فمنها الدينيّة والسياسيّة **والأخلاقيّة والجماليّة.**

- **المرحلة الثالثة:**

تصنيفُ القيم الجماليّة **داخل الوعي الجماليّ** نفسه، والتمييز بينها في مفاهيمَ مستقلّة: **كالجمال والجلال والفتنة والروعة والرِّقة**، بالإضافة إلى التمييز بين الوعي **الجماليّ** والوعي **الفنّي**، والبحث في العلاقة بينهما.

- حدِّد مراحل اكتمال الوعي الجمالي.

ثالثاً- الوعي الفنّي:

يرتبط الفنّ، في معناه العام، **بالممارسة والتطبيق**، وقد أُطلِق قديماً على المهنة أو الحِرفة التي تستوجب **الإتقان والإبداع**، فكانت "الفنون" **مرادفة** "للصناعات"، وكثيراً ما كان يُطلق اسم الفنّان على الحرفي؛ والفنّ من جهة ثانية **مضادّ للعلم**، لأنَّ العلم نظريّ والفنّ عمليّ، ولأنّ غاية الفنّ **تحصيل الجمال**، أمّا غاية العلم **فتحصيل الحقيقة**. أمّا في الاصطلاح فيُطلق الفنّ على **جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال**، كالتصوير والنحت والنقش والشعر والموسيقا والمسرح، وتُعرَف عادةً بالفنون الجميلة (Fine Arts).

ويختلف الجمال الفنيُّ عن الجمال الطبيعيّ في أن جمال الطبيعة **لا يصدر عن رويّةٍ أو فكر**، أمّا الجمال الذي ينتجه الفنّان، فهو انعكاس يعبّر عن **وعي الإنسان** بالجمال، ورغبته في إعادة إنتاج الواقع بصورة **أفضل ممّا هي عليه**، فالفنّ هو الذي يحوّل موقف الإنسان إزاء الطبيعة من **الانفعال إلى الفعل.**

ولقد انتقد أفلاطون الفنّ **الذي يستنسخ الواقع ويحاكيه**، لأنّه اعتقد أن الأشياءَ المحسوسة نسخ عن المُثُل، وأنّ الفنّان عندما يصوّر هذه الأشياء، فإنّه يقوم **بتشويه المشوّه**، لذلك يرى أفلاطون أنّ الفنّ الحقيقي هو الفنّ الذي يتجاوز الأشياء الحسيّة ويحاكي **المُثُل مباشرة**، وأن القيمة الحقيقية للفنّ تكمن في **تجاوز الواقع والاقتراب من المثل الأعلى.**

- ما الذي يميِّز الجمال الفنيُّ عن الجمال الطبيعيّ؟

رابعاً- علاقة الفنّ بالأخلاق:

تقوم بين الفنّ والأخلاق علاقة معقدة وغامضة، فإذا كان موضوعُ الأخلاق هو السلوك الإنسانيّ بشكل عام، فإنّ الفنّ هو **أحد أنماط** هذا السلوك؛ لذلك فإنّ البحث في العلاقة بينهما ينتهي إلى اتجاهين اثنين، هما: **ثنائيّة الفنّ والأخلاق، ووحدة الفنّ والأخلاق.**

١- ثنائيّة الفنّ والأخلاق:

يميل أنصار هذا الاتجاه إلى **التفريق** بين مجالي النشاط الفنيّ والسلوك الأخلاقيّ، وحُجّتَهم في ذلك أن النشاط الفنّي **نشاطٌ حرٌّ**، وأنّ غايته الوحيدة هي **الجمال** بغضّ النظر عن أيّة غاية أخرى. أمّا السلوك الأخلاقيّ فهو **انعكاس** لشعور الإنسان **بفكرة الواجب والالتزام.**

وليست الفاعليّة الأخلاقيّة من وجهة نظر هذا الاتجاه سوى شكل من أشكال **الحياةِ المصطنعة والضيقة**، أمّا الفاعليّة الجماليّة فهي وحدها القادرة على **إبداع القيم** الإنسانيّة العليا والأصيلة.

ينتهي أنصار هذا الاتجاه إلى أنّ علمَي الجمال والأخلاق، هما **مجالان متمايزان ومستقلان** بعضهما عن بعض استقلالاً ذاتيّاً، وأن للكمال في المجال الأخلاقيّ معنى يتضمّن بالدرجة الأولى **النيّة المقرونة بإرادة واعية وموجّهة** نحو فعل الخير، ويتّسم هذا الفعل **بالإتباع والتّقليد**، أمّا الكمال في المجال الفنيّ فيتضمّن **وعي** الشخصيّة الإنسانيّة **بذاتها وبشروط وجودها**، وبتحولّها من الإتباع إلى **الابتكار الحرِّ والمبدع** الذي يتوجه نحو **الأكمل والأجمل.**

٢- وحدة الفنّ والأخلاق:

يعمد أنصار هذا الاتجاه إلى إرجاع مجالي الفنّ والأخلاق إلى **مجال واحد**، إمّا **بإخضاع** أحدهما للآخر، أو **بدمجهما** معاً في نظريّة واحدة.

وإذا أُخضِع أحدهما للآخر فغالباً ما يكون **الفنّ خاضعاً للأخلاق**، وهذا ما ذهب إليه أفلاطون الذي نظر إلى أنّ وجود جميع القيم الإنسانيّة ينشأ عن الحركة التي **تحمل النفسَ على أن تكون شبيهة بالإله**، وأنّ الجمال ليس سوى **الطريق** إلى الخيريّة المطلقة، فلا يكون الشيءُ جميلاً إلا إذا كان **صالحاً**؛ لذلك ينبغي على الفنّان أنْ يتوجّه في عمله نحو **تمثّل الخير المطلق**، وينبغي على الفنّ أيّاً كان نوعُه، أنْ يحمل رسالة أخلاقيّة تنشد ما فيه **خير الفرد والمجتمع.**

أمّا دمج الفنّ والأخلاق في نظريّة واحدة، فهذا ما توجّهت إليه الفلسفات الوضعيّة التي أكّدت **ارتباط الفنّ بالوعي الاجتماعيّ** الذي ينتجه، ولم تفرّق بين قيمته الأخلاقيّة وقيمته

الجماليّة، فالفنّ هو **انعكاس** هاتين القيمتين **واتحادهما** في الواقع الاجتماعيّ المتعيّن. ويبرهن هذا الاتجاه على وجهة نظره بالاعتماد على فكرة أنّ ما يكون جميلاً في مجتمع ما، **لا يمكن أن يتعارض** مع القيم الأخلاقيّة التي يلتزم بها أفراد هذا المجتمع.

- هل دعت الوضعيّة إلى إخضاع الفنّ للأخلاق أو دمجهما معاً؟

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١. رفض كانط أخلاق التجربة.

٢. اعتقد روسو أنّ الوعي الأخلاقيّ صفة عامّة لكلّ البشر.

٣. يوصف الواجب الأخلاقيّ عند دوركهايم بأنّه إلزام مرغوب فيه.

٤. لم تفرّق الفلسفة الوضعيّة بين القيمة الجماليّة والقيمة الأخلاقيّة للفنّ.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١. قارن بين معنى الوعي الأخلاقيّ عند كلٍّ من كانط ودوركهايم.

٢. اشرح مراحل تطوّر الوعي الجماليّ عند الإنسان.

٣. قارن بين الجمال الطبيعيّ والجمال الفنيّ.

ثالثاً- الموضوع:

ذهب فريق من الفلاسفة إلى التمييز بين الفنّ والأخلاق، بينما قال فريق آخر بالتوحيد بينهما، ناقش وجهة نظر كلّ من الفريقين، ثمّ بين رأيك في إخضاع الفنّ للقيمة الأخلاقيّة.

المراجع:

- صليبا، جميل .(١٩٩٤). *المعجم الفلسفيّ*. الشركة العالمية للكتاب.
- هويسمان، دنيس. (١٩٥٩). *علم الجمال*. ترجمة أميرة حلمي مطر. دار إحياء.
- لالو، شارل. (١٩٦٥).*الفنّ والأخلاق*. ترجمة عادل العوا دمشق: الشركة العربيّة.
- لالو، شارل. (١٩٥٩):*مبادئ علم الجمال*. ترجمة مصطفى ماهر. دمشق: دار إحياء.
- العوا، عادل. (١٩٨٦). *العمدة في فلسفة القيم*. دمشق: دار طلاس.
- بلوز، نايف. (١٩٩٣-١٩٩٤). *علم الجمال*. الطبعة الرابعة. دمشق: منشورات جامعة دمشق.

تحليل نصّ

(مشكلة الشر في الفلسفة اليونانيَّة)

عبد الرحمن بدوي



أما في الفلسفة، فتتوالى الآراء في الشرّ ابتداء من بداية الفلسفة اليونانيّة فنجد **فيثاغورس** يقسم العدد إلى آحاد وثناء (مثنى): فالآحاد هو مبدأ النظام الروحانيّ، والثناء (المثنى) هو مبدأ الانقسام والشرّ؛ وعند **هرقليطس** أنَّ الخير والشرّ أمران نسبيان، لا يوجد أحدهما إلا بوجود الآخر ولا يُفهم إلا بالنسبة إليه: فكما أنَّ العالي والسفلي معنيان نسبيان، فكذلك الخير والشر أمران نسبيان. وبرمنيدس يرى أنَّ الوجود هو الخير؛ أمَّا الشرّ فأمر ظاهريّ صرف. وعند **أمباذوقليس** أنَّ الخير والشرّ يتصارعان فيما بينهما، وهما يصدران عن مبدأين متعارضين هما: المحبة والكراهية؛ لكن الصراع بينهما سينتهي بانتصار الخير. وعند **ديمقريطس** أنَّ الخير والشرّ كليهما ناتج عن صدفة اللقاء بين الذرات. وعند **السوفسطائية** أنَّ الخير هو النافع والشرّ هو الضارّ؛ والمعيار الوحيد في التمييز بينهما هو اللذة: فما يحقق اللذة هو الخير، وما يجلب الألم هو الشرّ، وكلاهما بالمعنى الحسيّ الخالص. أما **سقراط** فقد رأى الشرّ ينشأ عن الجهل. ولا أحد يرتكب الخطيئة أو الشرّ وهو عالم بأنه شرّ. أما **أفلاطون** فقرر أنَّ الشرّ يكوِّن قسماً من الوجود الواقعيّ، هو المتعدِّد والمحسوس، والظاهريّ، واللاوجود. فالشرّ إذن موجود، ويحاول أفلاطون تبرير وجوده في مواجهة مبدأ الخير فيقول إنَّ الشرّ يصدر عن المادة وعن طبيعة ما هو جسمانيّ، وعن عدم التحديد والتعيُّن، وعن الاضطراب في النظام....وليس **لأرسطو** رأي واضح في معنى الشرّ. فهو أحياناً يربطه بالهيولي، وأحياناً أخرى يربطه بالإفراط والتفريط في الأعمال الاخلاقيّة تبعاً لنظريته في الفضيلة وهي أنها

وسط بين شرّين. ويكاد يومئ إلى أنَّ الشرّ هو عدم وسلب. وعلى عكس ذلك نجد **أبيقور**: فهو يقرر صراحة أن الشرّ إيجابي ويسود عالم الوجود... وما على الحكيم إلا أن يَنْشد الطمأنينة وأن يتجنب الانفعالات الوجدانية. ذلك لأنَّ السعادة والنعيم لا يكفلهما كمية الثروة، ولا كثرة الأشياء، ولا أيّ منصب أو سلطة، بل يكفلهما الخلو من الألم، وحلاوة المشاعر، والاستعداد النفسيّ الذي يبقى في نطاق الحدود التي رسمتها الطبيعة. واتخذت **الرواقيَّة** موقفاً فريداً. فهي تقول إنَّ الشرّ لا يوجد إلا في الجزئيات، أما في الكلّ فهو غير موجود، لأنَّ الكلّ بما هو كلّ خير. وعلى الحكيم إذن أن يتبع الكلّ، ولا يحفل بالجزئيات، ولهذا فإنَّ الألم والموت– كما يقول **شيشرون**– غير موجودين بالنسبة إليه وحتى لو وضع في جوف ثور فالاريس (وهو جوف تتأجج فيه النيران).فإنه سيشعر كما لو كان راقداً في سريره الوثير!!. ولهذا ينبغي على الإنسان أن يرضى بكلّ ما يحدث له بوصفه أمراً معقولاً مقبولاً. وفي هذا يقول الإمبراطور الرومانيّ الرواقي النزعة، **ماركس أوريليوس**: " تقبَّل عن طيب خاطر، مهما يكن قاسياً، كلّ ما يحدث، معتبراً أنه يؤدي إلى سلامة العالم وإلى نجاح مقاصد الإله...؛ لأنه لم يكن ليحدث لأحد إن لم يكن ملائماً للكلّ". وجاء **أفلوطين**، فربط الشرّ بالمادة، وهذه المادة عدم ولا وجود. ورأى أنَّ الشرّ الأخلاقيّ راجع إلى تغلُّب الجزء الناقص في الإنسان على سائر الأجزاء. ويمضي إلى أبعد من ذلك فيقول إنّ الشرّ يسهم في إكمال العالم. إنَّ الشرّ هو عدم الصورة، والخلو من الخير؛ فهو سلب محض، بينما الخير هو وحده الإيجابيّ.

توضيحات:

هذا النص مأخوذ من مؤلَّف عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ ، مادة: الشر(=ص:١٨٦ – ١٨٨).

عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ – ٢٠٠٢): فيلسوف عربي مصري ومؤرخ للفلسفة، وفلسفته هي الفلسفة الوجودية، وقد حاول في كتابه الزمان الوجوديّ تأسيس تيار جديد في الفلسفة الوجوديَّة. وقد أغنى عبد الرحمن بدوي المكتبة الفلسفية العربية بالكثير من المؤلفات والتحقيقات والترجمات، وقد أتقن العديد من اللغات الأجنبية، مثل: اليونانية والألمانية والفرنسية والإسبانية ...

ذرات ديمقريطس: ردّ ديمقريطس الوجود إلى ذرات هي الأساس في تكوينه، وتتلاقى هذه الذرات مع بعضها البعض بفعل الضرورة، فتقوم بإيجاد الموجودات.

الهيولي: كلمة يونانية تعني المادة، وقد اعتقد الفلاسفة القدماء بوجود مادة بعيدة ومادة قريبة، فالمادة البعيدة التي تتكوَّن منها يد الإنسان مثلاً هي العناصر الأربعة (التراب، الماء، الهواء، النار)؛ أما المادة القريبة التي تتكون منها هي العظام والغضاريف والشرايين...

– المناقشة:

اقرأ النصّ قراءة متأنيّةً صامتة، ثمّ أجب على الأسئلة الآتية:

١- ابحثْ في موسوعة فلسفية تختارها عن أسماء الفلاسفة الواردين في النص محدِّداً مراحلهم التاريخيّة.

٢- حدّد المصطلحات الجديدة الواردة في النصّ.

٣- لماذا رأى سقراط أنَّ الشرّ ينشأ عن الجهل؟.

٤- فسِّر رأي برمنيدس بأنَّ الوجود هو الخير؛ أمَّا الشرّ فأمر ظاهريّ صرف.

٥- اتخذ موقفاً نقدياً من تقرير أبيقور أنَّ الشرّ إيجابيّ ويسود عالم الوجود.

٦- قارن بين تفسيري كلّ من السوفسطائية وأفلاطون للشرّ.

٧- لخّصْ أهم الأفكار الأساسيّة في النصّ.

٨- استنتجْ الإشكاليّة الأساسيّة في النصّ.

٩- اقترح عنواناً آخر مناسباً للنصّ.

العلم

الدرس الأوّل	نشأةُ العلم وتطوّر التفكير العلميّ
الدرس الثاني	خصائص التفكير العلميّ
الدرس الثالث	عقبات التفكير العلميّ
الرس الرابع	أخلاقيّات العلم
الدرس الخامس	العلم و المجتمع
الدرس السادس	نصّ(أزمة العلوم الأوروبية) إدموند هوسرل

نشأةُ العلمِ و تطوّر التَّفكير العلميّ

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتوقع من الطَّالب بعد تنفيذِ أنشطةِ الدرّس أن:

١. يفسّر طريقةَ الإنسانِ في اكتشافِ محيطهِ قبلَ ظهورِ العلمِ.

٢. يشرحَ كيفيَّة ظهورِ العِلمِ.

٣. يحدّد طبيعةَ العلمِ.

٤. يستنتجَ أهميّة الكشف عن الأسبابِ في تفسيرِ الظَّواهرِ العلميّةِ.

٥. يتتبّع تطوّر الإنجازاتِ العلميّة.

٦. يقارنَ بينَ العلمِ و التفكيرِ العلميّ.

نشأةُ العلمَ و تطوّر التفكيرِ العلميّ

قضية للمناقشة:

في البداية لم يتفاعلْ الإنسان مع الواقع مباشرة، بل كان عليه قبول الظواهر على ما هي عليه، وظلّ طويلاً يستعيضُ عن العلم بخيالاته وانفعالاته وحدْسه.

وعندما نتأمّل رحلة الإنسان الشاقّة من الحجرِ المصقولِ، إلى غزوِ الفضاءِ وتفتيتِ الذرَّة، سوف يتبيّن أنَّ نشأة العِلْمِ كانت نتيجة للحوارِ المتواصلِ بين الطّبيعة والإنسان، وثمرةً لعلاقة تفاعليّة وإيجابيّة غيّرَ فيها الإنسان الطبيعة وتغيّر معها.

ناقش زملاءكَ في الأسئلةِ الآتيةِ:

١- ما معنى العلم؟

٢- كيف كانت البداياتُ الأولى لنشوءِ العلمِ في رأيك؟

٣- هل تبقى معارفُ الإنسان عن الطّبيعة ثابتة أم تتغيّر، ولماذا؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً– تطوّر التفكيرُ الإنسانيّ:

يساعد التفكيرُ الإنسانيُّ بوصفه نشاطاً عقليّاً في مواجهة المشكلات التي تعترض الإنسان، وقد مرّت أساليبُ التفكير في العصور التاريخيّة المختلفة، بأربع مراحل أساسيّة متداخلة، هي:

١- المرحلة الحسيّة:

وفيها مثّلت الحواس أدوات الإنسان البدائيِّ التي استخدمها في اكتشاف محيطه ومحاولة التكيّف معه؛ لذلك فإنَّ أولى مراحل نمو تفكير البشر بدأت باتصال حواسهم مع المحيط لتأمين حياة مستقرَّة وتلبية الحاجات الحياتيّة الضروريّة.

٢- المرحلة الغيبيّة:

أدّى شعور الإنسان بالعجز عن فهم الظواهر المحيطة به فهماً صحيحاً إلى اتخاذ أشكال أوليّةٍ من الفهم، اختلفت باختلاف البيئات والعصور، إذ لجأ في تعليله للأحداثِ إلى قُوى غيبيّة خارقة لتساعده على التخلّص من المشكلات التي واجهته، ولكن بشكلٍ وهميٍّ نتيجة عجز هذه القُوى عن حلِّ المشكلات بطريقةٍ واقعيّةٍ.

٣- المرحلة التأمليّة الفلسفيّة:

حاول الإنسانُ التفكير والتأملَّ العقليَّ في الظواهر التي رغب في فهمها أو معرفتها، (كالوجود والنفس والحياة والموت...)، فاختلفت هذه المرحلة عن السابقة بتوجّه الإنسان نحو الفهم الصحيح لمشكلاته وللظواهر التي تحيط به بطريقة عقليّةٍ نظريّة.

٤- المرحلة العلميّة التجريبيّة:

تمكّن الإنسان، مع تطوّر قدراتِه العقليّةِ وأدواته العمليّة من قراءة الواقع بشكل صحيح، فجمع بين العقلِ والتجربة عندما استطاع أن يربطَ بين الظواهر وأسبابها بطريقة موضوعيّةٍ، ويتوصّل إلى القوانين والنظريّات والتعميمات التي مكّنتهُ من عيش حياته بطريقةٍ أفضل.

- هل يمكن الفصل بين مراحل تطوّر التّفكير الإنسانيّ، ولماذا؟

ثانياً- العلم وحاجات الإنسان:

نشأ العلمُ عبر الانتقال من الخبرة العمليّةِ إلى المعرفة النظريّة، ويمكن تشبيه ذلك بالعلاقة بين عامل البناءِ والمهندس المعماريِّ المختصِّ، فالأوّل ذو خبراتٍ عمليّةٍ، بينما يمتلك الثاني العلم النظريّ إضافة إلى الخبرات العمليّة.

والعلم نشاط إنسانيّ ظهر في أقدم إنجازات الإنسان، وكانت بداياته مشروطة بحاجات النوع البشريّ ونزوعه إلى الإقامة في تجمّعات صغيرة؛ ولذلك فقد كان ظهور أقدم العلوم مرتبطاً بحاجات الإنسان في حياته (كالحساب والفلك)، واستخدم الحجارة وغيرها في الحساب عبر وضع علامات خاصّة عليها.

وفي مرحلةٍ لاحقةٍ، اكتسب الإنسان معارفَ هندسيّة عبر محاولاته حلَّ مشكلات تقسيم الأراضي وتوزيعها، ونشأ علم الطبيعة من محاولات الإنسان المتكرّرة اكتشافَ الطبيعة وسبرَ أغوارها، فعرف الكثيرَ من الحقائق عن النباتات والحيوانات، وأصبحت هذه المعرفة بعد ذلك أساسَ علوم النبات والحيوان.

- كيف يمكن تفسيرَ نشأة العلوم الأولى؟

ثالثاً- طبيعةُ العلمِ:

تبدأُ المعرفة العلميّة عندما يدرك العقل العلاقات الشاملة والضروريّة بين الظواهر، ويكتشف القوانين التي تفسّرها، فيتوصّلُ إلى معرفة السبب الذي يجعل ظاهرةً معيَّنةً في

الطبيعة تجري على هذا النحو أو ذاك، ومنْ ثمّ يصبح الإنسانُ قادراً على التنبؤ بحدوثها وتغيّراتها.

مثال: تُفسّر ظاهرة السراب من الناحية الفيزيائيّة بأن رمل الصّحراء المتوهّج يكتسبُ خواصَّ المرآة، لأنّ كثافة طبقة الهواء السّاخن القريبة من الرّمل تصبح أقلَّ من كثافة الطبقات العليا، فيتقوّس الضوء في داخلها مبتعداً عن سطحِ الأرضِ، ويصل إلى العين كأنّه منعكسٌ على سطحِ مرآة، فيبدو كأنّه سطح الماء.

والعلم، بوجه عام، هو المعرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه، **وبوجه خاص:** دراسةٌ ذات موضوع محدّدٍ ومنهجٍ ثابت، تُوصِل إلى مجموعةٍ من المبادئ والقوانين التي يُعبّر عنها بقضايا كلّيّة وحقائقَ عامّةٍ مستمدّة من الوقائع والجزئيّات.

ومن هذا المنظور يتميّز العلم عن التجربة الحياتيّة للإنسان؛ لأنّ الثانية تقوم على الملاحظة البسيطة ولا تتعدّى الوصف الظاهريَّ للوقائع، ولا تؤدّي إلى معرفة المبادئ والقوانين، أمّا العلم فهو جهد إنسانيّ منظّم ومتّسق، يحاول فهمَ ما يجري حولنا، وفهم ذواتنا نحن، داخل الكون، في إطار من العلاقات المتبادلة بين الأسباب والنتائج.

وتكْمُنُ قيمةُ العلم في الاعتماد على حقائقَ عينيَّةٍ ملموسةٍ يمكن التأكّدُ منها بالتجربة والمشاهدة.

- متى تصبح المعرفة علميّة؟

رابعاً- السببية والظواهر العلميّة:

يعدُّ مبدأ السببية من أهمّ المبادئ في حياتنا، فلكلّ شيء سبب، ولا يمكن لشيء أنْ يحدث أو يوجد أو يتوقف عن الوجود من دون سبب.

والسبب هو كلّ ما نشأ عنه أثرٌ، سواء أكان حركة أم سكوناً أم تغيّراً، وهو الشرط النهائيُّ الذي يسبق، بالضرورة، أيّ حادث، وتعني كلمة "السببية" أنّ تتابعَ الحوادث أو الوقائع محدودٌ ومحكوم بالعلاقة بين المسبب والنتيجة.

مثال: يحدث المدُّ والجزْر في البحر نتيجة اقتراب القمر من الأرض أو ابتعاده عنها.

ويفترض التصوّر العلميّ للسببية أنَّ الحوادثَ لا تقع بطريقة عشوائيّةٍ، أو بمحْض المصادفة، ولكنّها مترابطةٌ بطريقة متتابعة، فحدوث إحداها يؤدّي إلى حدوث الأخرى بصورة

حتميّة. و"الحتمية" صورة أخرى للسببيّة، وتعني، عموماً، أنّ الأسبابَ ذاتَها في الظروف ذاتِها تؤدّي إلى النتائج ذاتِها حتماً.

مثال: إنّ وصول الماء إلى درجة مائة مئويّة يؤدي إلى غليانه، فتبخّره حتماً.

- أعطِ مثالاً آخر عن كلّ من السببية والحتمية.

خامساً- الانجازات العلميّة:

كانت المعرفة العلميّة، في جانبها العمليّ، موجودةً في حضارات سورية القديمة وبلاد ما بين النهرين ومصر القديمة والهند والصين، وقد استفادت الحضارة اليونانيّة من ذلك، فظهرت المعرفةُ العلميّةُ في جانبها النظريّ، في القرن السادس(ق.م) مع الفيلسوف **طاليس الملطي**، إذ كانت الفلسفة هي الحاضنةُ للعلم، وبلغت المعرفة العلميّة درجة مرموقة مع فلسفة الطبيعة عند **أرسطو** والتي سادَتْ حتّى نهاية العصور الوسطى.

بدأ انبثاق العلمِ الحديث في عصر النهضة الأوربيّة، مستفيداً من إنجازات الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وحدثت اكتشافات علميّة جديدة غيّرت التصوُّرات السابقة عن الكون، وحقّقت نُقلةً جديدة في المعرفة العلميّة، فهاهو **كوبرنيكوس** يتجاوز النظام الفلكيَّ الذي كان سائداً منذ عهد بطليموس الذي يقوم على أساس أنّ الأرضَ مركزُ الكون، وأنَّ بقيّة الكواكب تدور حولها، وأكّد **كوبرنيكوس** أنَّ الأرضَ ليست مركز الكون، وإنّما هي متحرّكة تدورُ كلَّ يوم دورة كاملة حول نفسها، وتدورُ دورةً سنويّةً حول الشمس.

ثمّ جاء **غاليليو**، ووضع دعائم المنهج التجريبيّ، وبيَّنَ أهميّة الملاحظة في وضع الفروض والتحقّق منها بوساطة التجربة التي تمثل عصب المنهج العلميّ؛ لأنّها تنتقل من ملاحظة ظواهر الطبيعة، إلى القوانين التي تحكم هذه الظواهر، ومعه انتقل العلم من التفسير الكيفيِّ للظواهر إلى تفسيرها الكمّيِّ عن طريق وضع المعادلات الرياضية، وتحديد نسبِ ومقاديرِ العلاقات المتبادلة لظواهر الطبيعة، وقال: إنّ الطبيعة مكتوبةٌ بلغةٍ رياضيَّة.

مهّدتْ فكرة غاليليو الطريقَ أمّام **نيوتن** لاكتشاف قانون الجاذبيّة العام، ووضع صيغة رياضيّة كمِّيَّة لفكرة الجاذبيّة، وتوصّل في كتابه الرئيس **(المبادئ الرياضيّة للفلسفة الطبيعيّة)** إلى القوانين الأساسيّة للحركة، وأسّس علم الفيزياء الكلاسيكيّ.

أمّا في **علم الأحياء**، فقد مهّد **دارون** في كتابه **(أصل الأنواع)** لفهم جديد للكائناتِ الحيّة يقوم على نظريّته في الارتقاء والانتخاب الطبيعيّ، إذ تفضي رغبة الكائنات الحيّة في البقاء

إلى الصراع في ما بينها ومع محيطها، وانتصار الأقوى في هذا الصراع يمكّنه من التكيّف والتطوّر، ومن ثمَّ استمرار نوعه.

وفي أوائل القرن العشرين، أحدثت الفيزياء انقلاباً في العلم تمثّل في اكتشاف النظريّة النسبيّة ونظريّة ميكانيكا الكمِّ (الكوانتم)، ممّا أدّى إلى تغيير أسس الفيزياء النظريّة.

وعزّزتْ المنجزات العلميّة السابقة وغيرها فكرةَ وجود قوانين موضوعيّة تفسّرُ الواقع وتتحكّم به، وأكدت أنّ أنواع العلوم تمثّل وحدةً عضويّةً يُعبّرُ عنها في قوانينَ عقليّةٍ ورياضيّةٍ شاملة.

يتميّز **عصرنا الحالي** بتطوّر النظرة العلميّة في فهم العالم، وبإنجازات كبيرة في مجال تطبيقات العلوم الطبيعيّة، كالثورة العلميّة التقنيّة، والثورة البيولوجيّة، وتطوّر المعلوماتيّة وتكنولوجيا الاتصال، وفي ما يأتي أهمُّ الملامح التي تميّزُ المعرفةَ العلميّة في القرن الحادي والعشرين:

١- تطوّر مكانة الإنسان في عمليّة الإنتاج، فأصبح موجِّهاً للآلة بعد أنْ كان تابعاً لها.

٢- اتساعُ عمليّات الأتمتة في المجالات الصناعيّة والتجاريّة، وفي الملاحة الجويّة والبحريّة.

٣- الاستفادة من التطبيقات العمليّة في الفيزياء والكيمياء لإنتاج الطاقة.

٤- تحوّل العلم إلى قوّة منتجةٍ أوجدت طرائقَ جديدة للإنتاج تخضع لبرمجة العلم وقيادته.

٥- تسارع الاكتشافات العلميّة نتيجة تطوّر أدوات البحث، فنحن نجد في كلِّ يوم اكتشافاً جديداً سرعان ما يُسخّرُ لاختراعات مفيدة للإنسان.

- قارن بين الإسهامات العلميّة لكلٍّ من كوبرنيكوس ونيوتن.

سادساً– العلمُ والتفكيرُ العلميُّ:

جاء التفكيرُ العلميُّ نتيجة مراحلَ عديدةٍ من تطوّر التفكير الإنسانيّ العقلانيّ والمنظّم، وهو تكثيف لعملٍ شاقٍ ومستمرٍ، قام به العلماء من أجل اكتساب المعرفة والاستفادة منها، ورغم أن معظم الناس غيرُ معنيّين بمعرفة الأساليب العلميّة التقنيّة، أو بتفاصيل عمل العلماء، فقد تَركَ العلم بوساطة نظريّاته وقوانينه آثاراً لا تُمحى من عقولهم.

والتفكير، بطريقة علميّة، هو نشاط معرفيّ منظّم يظهر في سلوك الفرد في تمكّنهِ من المعالجةِ الصحيحة لبعض القضايا والمشكلات التي تواجهه في حياته اليوميّة، سواء في

علاقاته مع الناس أو العالم المحيط به بطريقةٍ علميّةٍ تربط بين الأسباب والنتائج، وتمكّن الإنسان من الوصول إلى الحلول المناسبة للمشكلات التي يواجهها.

مثال: يظهر التفكير العلميُّ في توجّه الإنسان نحو الأطباء عند إصابته بالمرض، بينما كان سابقاً يتوجّه نحو السحرة والمشعوذين.

يمكن للفرد أنْ يكتسبَ هذا النمط من التفكيرِ العلميِّ إذا مارسه فعليّاً، في أثناء قيامه بأعماله واتخاذه لمواقفه؛ فالتفكيرُ العلميُّ ينهض على الأخذ بنتائج الاكتشافات العلميّة بطريقة تغيّر القناعات القديمة السائدة، لتتناسب مع روح وطبيعة العصر.

- كيف يمكنُ أنْ يكون تفكيرُ الإنسان علميّاً؟

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- الرياضيات والفلك أوّل العلوم نشأة.

٢- لجأ الإنسان القديم إلى القُوى الغيبيّة والخارقة في تعليله للأحداث والظواهر؟

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ما الفرقُ بين كلّ من المفهومَين العامّ والخاصّ للعلم؟

٢- قارن بين كلٍّ من العلم وتجربة الإنسان الحياتيّة.

٣- وضّح مفهومي السببيّة والحتميّة.

٤- ما أهمّ ملامح المعرفة العلميّة المعاصرة؟

ثالثاً- اختر الإجابة الصحيحة:

١- مؤلّف كتاب "*المبادئ الرياضيّة للفلسفة الطبيعيّة*":

غاليليو- كوبرنيكوس- نيوتن - أرسطو

٢- درس داروين في كتابه *أصل الأنواع*":

قوانين الحركة - قوانين التطوّر والنمو - حركة الأفلاك - ميكانيكا الكم

رابعاً-ضع إشارة ✓ بجانب العبارة الصحيحة وإشارة ✗ بجانب العبارة المغلوطة:

١- نشأ العلم بالانتقال من المعرفة النظريّة إلى الخبرة العمليّة.

٢- أدّت نظريّة ميكانيكا الكمّ إلى تغيير أسس الفيزياء النظريّة الكلاسيكيّة.

٣- التفكير العلميّ سلوك خاصٌّ بالعلماء فقط.

خامساً- الموضوع:

تتحدّدُ طبيعة العلم عبر دراسة الظاهرة وكشف قوانينها، ومحاولة معرفةِ أسبابها، وصولاً إلى النظريّة العلميّة المتكاملة،ناقش ذلك وبيِّن رأيك.

المراجع:

- بلوز، نايف. (١٩٨٦). *مناهج البحث في العلوم الطبيعيّةج٢* . دمشق: مطبعة الإنشاء.
- كراوثر، ح.ح.(د.ت). *قصّة العلم*. ترجمة يمنى الخولي - بدوي عبد الفتاح. القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب.
- معن زيادة وآخرون (١٩٨٦): الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربيّ، بيروت.
- صليبا، جميل.(د.ت). المعجم الفلسفيّ. بيروت: الشركة العالميّة للكتاب.

خصائصُ التفكير العلميّ

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتوقّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١- يستنتجَ أهميّة التفسير العلميّ للظواهر الطبيعيّة والبشريّة.

٢- يشرحَ معنى التراكميّة وأثرها في نسبيّة المعرفة العلميّة.

٣- يدركَ أهميّة التنظيم في التفكير العلميّ.

٤- يدرك العلاقة بين شموليّة الحقائق العلميّة ويقينها.

٥- يوضّحَ أثر الدقّة في تطوّر التفكير العلميّ.

٦- يثمّن أهميّة التفكير العلميّ في حلِّ المشكلات ومواجهة المواقف الحياتيّة.

خصائص التفكير العلميّ

قضية للمناقشة:

يفكّرُ العالِمُ في مشكلات متخصّصة، هي في أغلب الأحيان منتميةٌ إلى ميدان لا يستطيع غيرُ المتخصّص الخوض فيه، وقد لا يعرفُ أحياناً بوجود هذه المشكلات، ويستخدم العالِم في التعبير عن تفكيره لغةً تخصُّصيّة يتداولها مع غيره من العلماء، وهي لغة اصطلاحات ورموز متعارفٌ عليها بينهم، ولكنَّها مختلفةٌ كلَّ الاختلاف عن تلك اللغة التي يستخدمها الناس في حديثهم ومعاملاتِهم المألوفة. **(فؤاد زكريا: التفكير العلميّ)**

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- كيف يختلف تفكير العالِم عن تفكير الإنسان العاديّ في رأيك؟

٢- عدّد بعض المصطلحات العلميّة التي لا تُستخدم في اللغة العاديّة؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- التفسيرُ العلميّ للظّواهر الطبيعيّة والبشريّة:

انصبّت الجهود العلميّة، في البداية، على كشف ظواهر الطبيعة ومعاينة ما يحدث فيها، بهدف تحديد القوانين التي تتحكّم في سيرها، فدرس العلماء الظواهر الماديّة التي يمكن إخضاعُها للملاحظة والتجريب.

ومع الثورة العلميّة الهائلة في العصر الحديث، تطوّرت أدوات الملاحظة العلميّة، وتراكمت التجاربُ النوعيّة، ما أفضى إلى تمكّن العلماء من معرفة أسباب نشوء كثير من الظواهر الطبيعيّة، واكتشاف العلاقات التي تربط بينها التي لم تكن معروفة من قبل، ومن ثمَّ التنبّؤ بمسار هذه الظواهر ومحاولة السيطرة عليها.

مثال: لم يستطع الإنسان تفسير ظاهِرَتَي الخسوف والكسوف إلا بعد اكتشاف حركة دوران الأرض حول الشمس وحركة القمر حول الأرض.

لقد بلغتِ العلومُ الطبيعيّة (التجريبيّة) حدّاً كبيراً من التطوّر أدّى إلى تغيّر شكل حياة الإنسان في العالَم، فأصبح فاعلاً في علاقته مع الطبيعة بعدما كان منفعلا بها، وهذا ما أدّى إلى تغيّر نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالَم، وأثره فيه.

لكنّ المعرفة العلميّة التجريبيّة اصطدمت بمشكلة دراسة الإنسان وتحديد ماهيّته وحقيقته؛ لأنّه لا يمكن لأدوات البحث العلميّ (الملاحظة والتجربة) أنْ تفسّر الإنسان وتسبر أعماقه؛ لذلك ظهرت علوم خاصّة بتفسير الطبيعة البشريّة وظواهرها أُطلق عليها اسم (**العلوم الإنسانيّة**)، وتهتمُّ هذه العلوم بدراسة الإنسان الفرد (**كعلم النفس**)، أو ضمن المجتمع (**كعلم الاجتماع**)، وتتناول أيضاً علاقته مع الطبيعة وتطوّره عبر التاريخ.

- ما الفرقُ بين العلوم الطبيعيّة والعلوم الإنسانيّة؟

ثانياً– خصائصُ التفكيرِ العلميِّ:

يتّسم التفكير العلميّ بخصائص عدّة تميّزه عن أنماط التفكير الإنسانيّ الأخرى، كالتفكير الفلسفيِّ أو التفكير الدينيِّ، إلخ...وهذه الخصائص هي الآتية:

١ – التراكميّة:

تتكون المعرفة العلميّة من الإسهامات العلميّة المختلفة التي يقدمّها الباحثون والعلماء في مجالات متعدّدة، فيتوصّل كلّ جيل منهم إلى اكتشافات وقوانينَ جديدة تُضاف إلى إسهامات السابقين عليهم، ثمَّ يأتي جيلٌ آخرُ فيكمل ما بدأه الجيلُ السابق.

لذلك فالمعرفةُ العلميّةُ في تغيّرٍ دائم، ولكنّ تغيّرها يتخذ شكلاً تراكميّاً، يُضاف فيه الجديدُ إلى القديم، أيْ تأخذ النظريّات العلميّة الجديدة مكان القديمة، وذلك على صورتين اثنتين، هما:

أ- **أحياناً** تلغي النظريّة الجديدة النظريّة القديمة، وتصبح بديلاً عنها، فنظريّة دوران الأرض حول الشمس حلّت مكان نظريّة مركزيّة الأرض ودوران الشمس حولها.

ب- **غالباً** لا تلغي النظريّة الجديدة نظريّة سبقتها، بل توسّعها وتكشف عن أبعاد جديدة فيها لم تكن معروفة في السابق، كنظريّة آينشتاين التي أسهمت في توسيع نظريّة نيوتن وتطوير معرفتنا بقوانين المادّة والحركة.

إنّ التراكم الذي تتّسم به المعرفة العلميّة يسير في اتجاهين، هما:

- **الأوّل:** اتجاه عموديٌّ يتعمَّق في بحث الظواهر نفسها، فقد تطوّرت دراسة الفَلَك من مراقبة النجوم والكواكب بالعين المجرّدة، إلى إقامة المراصد الفلكيّة الضخمة وإرسال المركبات الفضائيّة عبر مسافات بعيدة في الفضاء السحيق.

- **الثاني:** اتجاه أفقيٌّ يمتدُّ إلى بحث ظواهر جديدة، فمن علوم الطبيعة والفيزيولوجيا امتدّ العلم إلى ميادينِ البحث في العلوم الإنسانيّة، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ.

وتكشف لنا خاصيّة التراكميَّة عن سمة أساسيّة للحقيقة العلميّة هي النسبيّة، فالحقائق العلميّة ليست نهائيّة أو مطلقة، بل مستمرّة في التطوّر، وإذا وصل العلم في موضوع معيَّن إلى رأي يبدو أنّه نهائيّ ومستقرّ، فإنَّ التطوّر العلميّ سرعان ما يتجاوز هذا الرأي ويستعيض عنه برأي جديد أكثر صحة.

- وضّح العلاقة بين التراكميَّة والنسبيّة في التفكير العلميّ.

٢- التنظيم:

يسلك البشر غالباً طريقةً عفويّةً في تفكيرهم كردود أفعال على مواقف معينّة، أمّا التفكير العلميّ، فهو يسير بطريقةٍ منهجيَّةٍ منظَّمةٍ لا تُترك فيها الأفكار حرّة طليقة، وإنّما يتمّ ترتيبُها بطريقة منظّمة ومحدّدة، تحتاج جهداً مقصوداً يسعى إلى تحقيق أفضل تخطيط ممكن لطريقة التفكير، فالعلم يتطلَّب وجود منهج معيّن في وضع الفروض واختبارها بشكل دقيق ومنظّم، ويُعدّ الترابط من أهمِّ مظاهر التنظيم العلميِّ، إذ تُكوّن الحقائق المكتشفة نسقاً مترابطاً يؤدّي فيه فهم الحقيقة الأولى إلى فهم حقيقة ثانية، وهكذا...

وإذا كان العلمُ تنظيماً لطريقة تفكيرنا، فإنّه، أيضاً، تنظيمٌ للعالم الخارجيِّ المليء بالحوادث والوقائع المتشابكة والمتداخلة؛ إذ يمكّننا هذا التنظيم من أنْ ننتقي من ذلك الكلّ المعقّد ما يهمّنا في ميدان بحثنا الخاصِّ كالفيزياء والكيمياء في العلوم الطبيعيّة، أو في العلوم الإنسانيّة عندما يضعُ المؤرّخُ كتاباً في التاريخ، فعليه أنْ يختار ويرتّب من الواقع الشديد التعقيد ما يهمُّه في موضوع بحثه، وعليه أنْ يُدخِلَ التنظيم في واقع غير منظّم، وتلك هي مهمّة العلم.

وتأخذ صفة التنظيم مكانها عند بداية أيِّ بحث علميٍّ، عندما يتّبع العالِم منهجاً علميّاً منظّماً، وكذلك في نهاية البحث، عندما يكوّن العالِم نسقاً مترابطاً من النتائج التي توصّل إليها.

- كيف يتجلّى التنظيم في العلم؟

٣- البحث عن الأسباب:

يكون النشاط العقليُّ للإنسان علماً عندما يستهدف فهم الظواهر وتعليلها، ويتمّ هذا الفهم عبر البحث عن أسباب الظواهر وأسباب نشوئها وتطوّرها، ويهدف البحثُ عن الأسباب إلى إرضاء الميل النظريّ لدى الإنسان الذي يدفعه إلى البحث عن تعليل الظواهر، وفهم حقائق الأشياء.

إنّ معرفة أسباب الظواهر تمكّننا من التحكّم فيها على نحو أفضل والوصول إلى نتائجَ عمليّة يمكن الاستفادة منها، فمعرفة أسباب مرض ما، تُمكّن العالِم من إيجاد علاج له، ومعرفة العناصر الفعَّالة في غدَّة معيَّنة تفيد في استخراجها بطريقة صناعيَّة وإنقاذ حياة الملايين (كالأنسولين المستخدم في علاج مرضى السكّر).

- ما الفوائدُ التي نجنيها من وراء معرفة الأسباب الكامنة وراء الظواهر؟

٤- الشموليّة واليقين:

المعرفة العلميّة معرفة شاملة، بمعنى أنّها تنطبق على جميع الظواهر المماثلة التي يبحثها العلم، فنحن في الفيزياء مثلاً لا نتحدّث عن سقوط هذا الجسم أو ذاك، بل عن سقوط الأجسام عموماً، بوساطة مفاهيمَ ذات طابعٍ أعمَّ مثل: فكرة الجاذبية والكتلة والسرعة والزمن، وتصبح الحقيقة العلميّة عامّة وملكاً للجميع بمجرّد ظهورها، متجاوزة، بذلك، النطاقَ الفرديَّ لمكتشفها والظروفَ التي نشأت فيها.

إنّ ما يمنح المعرفة العلميّة صفة الشموليّة هو يقينها ذاتُه، فالتجربة الفرديّةُ الخاصةُ في العلم تتحوّل إلى قضية عامّة أو قانون شامل، ولأنّها معرفة يقينيّة فهي تفرض نفسها على العقول جميعها، لكنَّ هذا لا يعني أنّ اليقين العلميّ ثابت ونهائيّ، بل قابل للتعديل والتصحيح مع أيّ اكتشاف علميّ جديد.

- كيف تصبح المعرفة العلميّة يقينيّة؟

٥- الدقة والتجريد:

يستعملُ العلمُ الصيغَ الرياضيّة الكميّة، فالحديث عن الظواهر الطبيعيّة بوساطة صفاتها الكيفيّة التي تبدو للحواسِّ لم يؤدِّ إلى علمٍ بالمعنى الدقيق للكلمة، ولم يبدأ ظهور هذا العلم إلا مع أوائل الفيزيائيّين في العصر الحديث، عندما طبّقوا الرياضيات على البحث الطبيعيّ، واستعملوا لغة الكمِّ في التعبير عن الظواهر الطبيعيّة وتحديدها، وهذا يسمح لنا بالمقارنة بينها، وتخطّي النطاق المحدود للحواسِّ البشريّةِ غير الدقيقة.

مثال: يعلم الجميعُ أنَّ حرارة الجسم البشريِّ يجب أن تبقى في حدود معيّنةٍ، وأن ارتفاعها أو نقصانها قد يؤدّي إلى وفاة الإنسان، أمّا علمياً، فيحدّد الأطباء درجة حرارة جسم الإنسان السليم بـــ ٣٧,٣%.

أمّا التجريد فهو، أيضاً، صفةٌ ملازمة للعلم، فالعلم المعاصر يعتمد على الرموز والمعادلات والأشكال الهندسيّة، وهذا ما يمكّن العلماء من تقديم اكتشافات واختراعات جديدة، عندما ينقلون هذه المعادلات من مجال إلى آخر.

مثال: لا يعني خطُّ الاستواء في الجغرافيا خطّاً حقيقيّاً مرسوماً على سطح الأرض، بل خطّاً متخيّلاً يرمز إلى مواقع عدّة توازيها خطوط العرض وتتقاطع معها خطوط الطول.

إنَّ تجريدَ الظواهر الطبيعيّة من صفاتها الماديّة المألوفة، وتحويلَها إلى رموز وأرقام يوسّع من نطاق المعرفة، ويفتحُ عوالِمَ جديدة للبحث العلميّ، مثل حقل الفيزياء الرياضيّة الذي لا يعتمد على دراسة المادّة مباشرة، بل يتوصل إلى نتائجه عبر معادلات رياضيّة بحتة.

- وضّح أهميّة التجريد في العلم، باستخدام الأمثلة.

ثالثاً– العلم بين النظريّة والتطبيق:

يعمل العالِم على وضع النظريّات العلميّة الصحيحة المدعومة بالأدلّة والبراهين، أمّا تحويل هذه النظريّات إلى تطبيقات عمليّة، فهي مهمّة المخترع والتكنولوجيِّ، عندما يقومان بتحويل المعرفة النظريّة إلى وسائل وأدوات يمكن الاستفادة منها لأغراض عمليّة تطبيقيّة. ويُعدّ تحويل النظريّات العلميّة إلى تطبيقات عمليّة أحدَ أهمِّ معايير جدوى البحث العلميِّ وإمكان استفادة الإنسان منه.

ويقترن ازدهارُ الحضارة البشريّة بتقدّم التكنولوجيا والمعرفة العلميّة، ويزداد هذا الازدهارُ كلّما استطاع العلماء والمخترعون تقليص المسافة بين النظريّة والتطبيق، وقد تنتظر

بعضُ النظريّات العلميّة وقتاً طويلاً حتّى تتمكّنَ التكنولوجيا من تطبيقها والاستفادة منها، وذلك بسبب ما يحتاجه التطبيق من توافر أدوات وموادّ أوليّة، أو تحقيق شروط عاليةِ الدّقة لم تكن متوافرة وقت اكتشاف النظريّة، وقد يعتمد التطبيقُ التكنولوجيُّ أيضاً على نظريّات عدّة ، فالتحليق في الفضاء الخارجيِّ لم يكن ممكناً إلا على أساس وضع مجموعة نظريّات تُمهِّدُ لتحقيقه بالفعل، بعضها يتعلّق بالحركة، وبعضها يتعلّق بالفلك والرياضيات، أضفْ إلى ذلك النظريّات التي تتعلّق بالإنسان من الناحيتَين العضويّة والنفسيّة، والتي ترصد ردود أفعاله خارج نطاق الأرض.

لقد استُعمِلَتْ تطبيقاتُ النظريّات والكشوف العلميّة لتحقيق سيطرة الإنسان على الطبيعة في مجال الفيزياء أولاً وبعد ذلك في مجال البيولوجيا والكيمياء، وأخيراً في المجال الإنسانيّ. ويتميّز عصرنا الراهن بسرعة تطبيق النظريّات العلميّة والانتفاع العمليِّ من تطبيقاتها التكنولوجيَّة؛ لذلك فالعلم ليس مجرّد حاصل جمع المعارف العلميّة، بل هو اكتشاف مستمرٌّ لحقائقَ جديدةٍ، وتطبيقٌ مستمرٌّ للاستفادة من هذه الحقائق في مجالات عمليّة نافعة.

- العلم نظريّة وتطبيق، اشرح ذلك.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- ظهور علوم خاصّة بتفسير الظواهر الإنسانيّة.

٢- الترابط أحد أهمّ مظاهر التنظيم العلميّ.

٣- تفرض المعرفة العلميّة نفسها على العقول جميعها.

٤- قد تحتاج بعض النظريّاتِ العلميّة وقتاً طويلاً لتطبيقها والاستفادة منها.

ثانياً- أجب عن السؤالين الآتيين:

١- يسيرُ التراكم الذي تتّسم به المعرفة العلميّة في اتجاهين، اشرح ذلك.

٢- ما العلاقة بين يقينِ المعرفةِ العلميّة وشمولها؟

ثالثاً- ضع إشارة ✓ بجانب العبارة الصحيحة وإشارة ✗ بجانب العبارة المغلوطة:

- تقوم كلّ نظريّة علميّة جديدة بإلغاء النظريّة السابقة عليها.
- يهدف البحث عن الأسباب إلى إرضاء الميل العمليّ لدى الإنسان.
- يضعف اتجاهُ العلمِ نحو التجريد سيطرة الإنسان على الواقع.
- تصدق المعرفة العلميّة على حالات محدّدة وفي ظروف معيّنة.

رابعاً- الموضوع:

العلم اكتشاف مستمرٌّ لحقائقَ جديدة، وتطبيقٌ مستمرٌّ للاستفادة من هذه الحقائق، ناقش هذا الموضوع من خلال دراستك للعلم بين النظريّة والتطبيق. وبيّن رأيك.

عقبات التفكير العلميّ

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتوقّع من الطَّالب بعد تنفيذِ أنشطةِ الدرّس أن:

١- يبيّن أثر كلٍّ من الأسطورة والخرافة في تأخّر ظهور العلم.

٢- يشرح أشكال الخضوع للسلطة بوصفها عقبات أساسيّة في وجه التفكير العلميّ.

٣- يوضّح النتائج المترتّبة على إنكار قدرة العقل.

٤- يستنتج الأخطارَ التي يجلبها التعصّب على العلم.

٥- يثمّن أهميّة النقد والحوار في تقدّم الفكر العلميّ .

عقباتُ التفكِير العلميِّ

قضيّةٌ للمناقشة:

لو تمكّن التفكير العلميُّ أنْ يتطوّر دون أيّة عقبات أو معوّقات، لاستطاعت البشريّة أنْ تؤسّس العلوم وتحقّق الحضارة التي نشهدها الآن من دون الحاجة إلى آلاف السنين التي قضاها الإنسان، محاولاً، تطوير تفكيره العلميِّ، وتحسين طرائق الاتصال المباشر بينه وبين العالم والطبيعة، ولكنْ ثمّةَ عقباتٌ فرضتها الطبيعة نفسها عليه، ومعوّقاتٌ فرضها هو على نفسه، حالتْ بينه وبين الوصول إلى العلم الذي وفّر له أفضل الوسائل التي تُمكِّنه من السيطرة على الطبيعة وتكييفها لإرادته ورغباته.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- لماذا تأخّرت البشريّة في تحصيل المعرفة العلميّة؟

٢- كيف أسهمت الفلسفة في تطوّر التفكير العلميّ وتذليل العقبات أمّامه؟

٣- هل القدرة على التفكير العلميّ واحدة عند الجميع أو أنّها مختلفة؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أوّلاً- الأسطورة والخرافة:

يقع الخلط كثيراً بين الأسطورة والخرافة لصعوبة وضع حدٍ فاصلٍ بينهما، إلا أنّه يمكن التفريق بين شكلَي التفكير الأسطوريّ والخرافيّ على الصورةِ الآتيةِ:

١- **التفكير الأسطوريُّ** هو تفكيرُ الشعوب في العصور التي لم يكن العلْم قد ظهر فيها بعد، أو أنّ انتشاره لم يصل إلى درجةٍ تجعل منه قوّة مؤثّرةً في حياة الإنسان ومعرفته العالَم؛ أمّا **التفكير الخرافيُّ** فهو التفكير الذي يقوم على إنكار العلم ورفض مناهجه، أيْ أنَّه يكون مرافقاً للتفكير العلميّ وليس سابقاً له.

٢- قدّم التفكيرُ الأسطوريُّ في مرحلة معيّنةٍ نموذجاً لنظام ثقافيٍّ فكريٍّ متكامل، يعكس نظرةً شاملة للإنسان وللعالَم من حوله، ويتّصف بالاتّساق والتماسك الداخليِّ، أمّا الخرافة فتتعلّق بالتفاصيل، وكثيراً ما تكون **الخرافاتُ متعارضةً أو متناقضةً**؛ لذلك فإنّها لا تكوّن نظاما أو نسقاً مترابطاً.

٣- **التفكير الأسطوريُّ سمة عامّة** يتّصف بها شعب من الشعوب أو أمّةٌ من الأمم؛. أمّا **التفكير الخرافيُّ، فعادة ما يكون سمة فرديَّةً**، قد يتصف بها بعض الأفراد بمعزلٍ عن غيرهم ويعتمد، بالدرجة الأولى، على ثقافة الفرد ومستوى تعليمه ونمط تفكيره.

أ- التفكير الأسطوريُّ والتفكير العلميُّ:

لقد مثّلتِ الأسطورة إحدى أهمِّ العقبات التاريخيّة التي حالت لمدةٍ طويلة بين الإنسان والتفكير العلميّ، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ التفكير الأسطوريَّ يعتمد على مبدأ "**أنسنة الطبيعة**" أو **(حيويّة الطبيعة)**، أيْ إسباغ الصفات الإنسانيّة على الظواهر الطبيعيّة، فقد فسّرتِ الأسطورة غير الحيّ عن طريق الحيّ، لأنّ الإنسان القديم انتقل من فهم نفسه إلى فهم الطبيعة، وأسقط عليها ما ينطبق عليه وحده، أمّا التفكير العلميّ فيعتمد على مبدأ مخالف تماماً، هو محاولة فهم الظواهر الحيّة بطريقة ماديّة تعود إلى دراسة التركيب الفيزيائيّ والكيميائيّ للظواهر الحيويّة.

مثال: اعتقد الإنسان قديماً أنَّ كسوف الشمس وتغيّرَ وجهها يعود إلى شعورها بالغضب، فكان يقوم بطقوس الدعاء والابتهال كي تعودَ الشمس إلى رضاها، ومن ثَمَّ تشرق من جديد.

ظلَّ التفكيرُ الأسطوريُّ مسيطراً على العقل البشريّ، ولم يستطعِ الإنسان التخلّص منه إلا عندما انتقل إلى التفكير الفلسفيِّ الذي عبّر عن مرحلة متقدّمة من النضج العقليّ؛ لذلك تعود نشأة العلم النظريّ إلى بدايات الفلسفة، حين تمكّن الإنسان من تحقيق نُقْلَةٍ نوعيّةٍ من الفكر الغيبيِّ الأسطوريِّ إلى الفكر العقلانيِّ المنظّم.

غير أنّ الإنسان استغرق وقتاً طويلاً ليتخلّص من نمط التفكير الأسطوريِّ، وظلَّ مبدأ "**أنسنة الطبيعة**" عقبةً حقيقيّةً في طريق تقدم العلم في أوروبا حتى القرن الثامن عشر تقريباً، فقد ظنَّ كثيرٌ من العلماء أنّ الكهرباء مبدأ حيويٌّ يتغلغل في الأجسام غير الحيّة، وأنّ ظاهرة المغناطيس تدلُّ على وجود حياة في المادّة الجامدة، وظنّ كثير من الكيميائيين أنّ المعادن مذكّرةٌ ومؤنّثة كالكائنات الحيّة، وحاولوا أنْ يتوصّلوا إلى اكتشاف الذهب المذكّر والذهب المؤنّث، ليزاوجوا بينهما كي يتكاثرَ هذا المعدن النفيس!

- أعط مثالاً عن أفكار أسطوريّة ما تزال حيّة حتى الآن.

ب- الخرافة والتفكير العلميّ:

لقد تراجع التفكيرُ الأسطوريُّ منذ زمان بعيد، الأمر الذي مكّن التفكير العلميّ من الظهور والتقدّم، أمّا التفكير الخرافيّ فما زال يعايش العلم حتى يومنا هذا، لأنّه يبدو كظاهرة فرديّةٍ أو لدى فئةٍ أو جماعةٍ معيّنةٍ، لا تؤثّر في مسيرة تقدّم العلم، لكنها قد تؤثّر في وعي الفرد وتفكيره، لذلك مازال الأفراد يختلفون حتّى الآن في اقتراب تفكيرهم أو ابتعاده عن النمط الخرافي، والعلماء هم أبعد الناس عن هذا النمط، لأنّ الخرافة لا تستقيم مع العلم الذي يبحث عن العِلَلِ الحقيقية والروابط السببيّة بين الظواهر.

ولقد كانت الخرافةُ مرافقةً للعلم عبر تاريخه، بل إنّ بعض العلوم تأسّستْ في بداية نشأتها من مزيج خرافيٍّ وآخر حقيقي، كالسحر الذي رافق بداية علم الكيمياء، وعلم الفلك الذي ارتبط بالتنجيم وقراءة الطالع ومعرفة المستقبل، وكان كبار الفلكيّن، في العصور القديمة والوسطى، منجّمين وفلكيِّين في الوقت نفسه. بل يمكن القول إنّ الاهتمام بالتنجيم ومعرفة الطالع قد أديّا إلى مزيد من الاهتمام بعلم الفلك نفسه.

ومع استقلال المعرفة العلميّة في بداية العصور الحديثة، بدأت النظرة العلميّة تتمايز عن النظرة الخرافيّة للعالم وظواهره، وقد أسهم في هذا التمايز أمران اثنان، هما:

١- **فهم قوانين الطبيعة بوساطة العلم** أتاح للإنسان قدرة أكبر في السيطرة عليها والتحكم في ظواهرها لصالحه، أمّا الخرافة فقد جعلت موقف الإنسان سلبيّاً وعاجزاً أمام سلطة الطبيعة عليه.

٢- يقين النتائج العلميّة، على عكس نتائج الخرافة والسحر التي كانت غير مضمونة على الدوام، **فالحقّيقة العلميّة تبقى صادقة دائماً**، أمّا تنبؤات العرافين والمنجمين فقد تصيب مرة وتخطئ عشرات المرات.

إنّ مظاهر التفكير الخرافيّ ما زالت موجودة في حياة الإنسان المعاصر؛ فوسائل الإعلام تحفل بالحديث عن التوقّعات الفلكيّة، وما زالت كثيرة تلك الكتب التي تتناول الظواهر الخارقة والقُوى الباطنيّة (كالحاسّة السادسة وقراءة الأفكار)، وقد نرى في بعض الأحيان أشخاصاً عقلانيِّين يتجهون نحو التفكير الخرافيّ، ولا سيَّما عندما يكون العلم عاجزاً عن حلِّ مشكلاتهم، كالإصابة بمرض عُضال لا علاج له، أو إتباع وسائل سحريّة وخرافيّة لحصول الحمل عند بعض النساء غير القادرات على الإنجاب.

- أعط أمثلة أخرى عن التفكير الخرافيّ ما زالت منتشرة في المجتمع.

ثانياً- سلطة المعرفة السابقة:

المعرفة سُلْطة، تمارس عملها بوساطة التأثير على تفكير الإنسان وسلوكه ونمط حياته، **وقد يؤدّي انتشار معرفة ما وترسيخها إلى زيادة سلطتها** وتأثيرها على عدد كبير من الأفراد، فيؤدّي استسلامهم لها إلى قتل روح التفكير الخلاق والإبداع، ومن ثمّ يعيق تقدّم العلم الذي يعتمد، بدرجة كبيرة، على تحرر التفكير الإنسانيّ، وعدم استسلامه لما هو منتشِر وسائِد.

ويمثّل **أرسطو** أحد أهمّ مظاهر السلطة المعرفيّة التي بقيت مسيطرة على العلم والفكر، إذ ظلّت آراؤه مهيمنة على العلوم والمعارف حتى بداية عصر النهضة، ولم يكن انبثاقُ العلم الحديث ممكناً إلا بالتصدي لطريقته في المعرفة والتفكير من قِبَل فرانسيس بيكون وديكارت اللذين نقدا المنطق الأرسطي،ورفض آرائه في طبيعة الحركة وعلم الفلك من قبل غاليليو، الأمر الذي مكّن من تأسيس علم الميكانيكا الحديث.

وتعتمد المعرفة في تكريس سلطتها وإعاقة التفكير العلميّ على عناصر عدَّة، أهمها:

١- **القِدم:**

إن قِدم الآراء والمعارف، وتوارثَها من الأجداد إلى الأحفاد يؤديان إلى الاعتقاد بأنّ لها أهميّة خاصّة وقيمة عظيمة، **وأنّها تمثّل الحكمة الخالدة التي تفوق الآراء المعاصرة،** وأن الأقدمين لم يتركوا شيئاً إلّا قالوه، ويتجلى ذلك في الأمثال السائرة التي كثيراً ما نتقبلها من دون نقد أو تمحيص.

٢- **الانتشار:**

يكتسب الرأيُ الأكثر انتشاراً سلطة أكبر في التأثير على تفكير الناس وتوجيه معرفتهم، وإذا ما حاول أحد العلماء والمفكرين التشكيك في رأيٍ منتشر بين الناس، فسرعان ما يواجهه الآخرون بحجة: هل هو أعلم من كلّ هؤلاء الناس؟! غير أنّ تاريخ العلم يبيّن أنّ **أهمّ الكشوف العلميّة قامت على رفض المعرفة المنتشرة ونقدها،** وذلك عندما حاول العلماء التفكير ضدّ تيار المعرفة السائد والمنتشر.

٣- **الشهرة:**

يكتسب الرأيُ سلطة أكبر إذا ارتبط بأحد المشاهير المعروفين بالخبرة والدراية أكثر من غيرهم، بغض النظر عن صحة هذا الرأيِ أو عدم صحته. كما يمكن استغلال شهرة شخص في مجال ما لنقلها وتوظيفها في مجال آخر، كالاستعانة بالمشاهير والنجوم في مجال الإعلانات التجاريّة لترويج سلعة ما وإقناع الناس بجودتها وفائدتها.

٤- **الرغبة والتمنّي:**

يميل الناس إلى سرعة تصديق ما يرغبون فيه ويتمنّون حدوثه، ويحاولون التصدّي لكلّ ما يتعارض مع رغباتهم ويحبط أمانيهم؛ لذلك قد يميل بعض الناس إلى تصديق التنجيم الفلكيّ عندما يحمل لهم أنباء سارّة، وكثيراً ما يتعلّق الطلاب بالأسئلة المتوقّعة قبل الامتحان، نتيجة رغبتهم في تحقّيق النجاح بدرجات عالية وجهد قليل.

- أعط مثالاً عن سلطة المعرفة.

ثالثا– إنكار قدرة العقل:

يرتبط العقل بالعلم ارتباطاً وثيقاً، فالتفكير العلميّ تفكير عقلانيّ منظّم، يستبعد العواطف والانفعالات؛ لذلك يوصف التفكير العقلانيُّ عادة بأنّه باردٌ وخالٍ من المشاعر والأحاسيس، وأنّه قد لا يكون مرشداً موثوقاً للإنسان في بعض المجالات التي تتعلّق بالفنّ والأدب والشعر التي تعتمد بدرجة أولى على فاعليّة العاطفة وخصب الخيال وقوّة الحدس، وينطبق الأمر نفسه على العلاقات الإنسانيّة كالحب والصداقة والثقة بين الناس، بحجّة أنّ العقل غير قادر على تنظيم هذه العلاقات، وأنّه عاجز عن إدراكها وفهم جوهرها.

ويصبح إنكار قدرة العقل عائقاً أَمَامَ العلم عندما يقوم بعض الناس بسحب الحجّة السابقة على ميدان العلم نفسه، عبر التركيز على أنّ العقل عاجز عن الوصول إلى الحقيقة، ويستعملون في ذلك **مغالطة منطقيّة** مفادها الآتي:

– يبدأ المشكّكون بقدرة العقل من مقدمة صحيحة مفادها أنّ العقل ما زال عاجزاً عن كشف الكثير من أسرار الطبيعة ومجاهل الكون.

– ينتهي المشكّكون إلى نتيجة مُفادها أنّ العقل بطبيعته ذو قدرة محدودة وقاصرة، وأنّه لا بدّ من الاعتماد على قُوى أخرى أكثر قدرة منه.

غير أنّ هذه النتيجة غير صحيحة؛ لأنّ عدم قدرة العقل على اكتشاف بعض الحقائق لا يعني أنّه عاجز بطبيعته، بل بسبب الظروف التي تعوق تطوّره وتضع العقبات في طريقه، لأنّه لو كان عاجزاً بطبيعته لما استطاع توسيع معارفه وتطويرها عبر التاريخ البشريّ.

– أعط مثالاً عن كشف علميّ معاصر لم يكن العقل قادراً على معرفته في الماضي.

رابعاً– التعصّب:

يعرّف التعصّب بأنه اعتقادُ الإنسان أو اعتناقه لرأيٍ يظنُّ أنّه يمثّل الحقيقة المطلقة من دون نقدٍ أو اختبار، فيلغي غيره من الآراء، ويظنّ أنّ القائلين بها مخطئون أو جاهلون.

والمتعصّب يقبل فكرته التي يتعصّب لها على ما هي عليه، لذلك تتمثّل خطورة التعصب في أنّه يلغي التفكير النقديّ الحرّ، ويشجّع على الانطواء على الذات، واحتكار الحقيقة ونفيها عن الآخرين، وهذا ما يؤدّي إلى الاستعلاء عليهم والاعتقاد أنّهم أدنى معرفة أو رتبة.

ويتَّخِذُ التعصُّب أشكالاً متعدِّدةً، منها **التعصّب الفكريّ والعرقيّ والدينيّ والسياسيّ..** إلخ، وأخطرها – بلا شكّ – التعصّب الفكريّ؛ لأنّه الأساس الذي تعتمد عليه الأشكال الأخرى من التعصّب، ولأنّه يعطّل مَلَكَة التفكير العقلانيّ الحرّ، فيسمح للأنواع الأخرى بالظهور.

ويمثّل التعصّب عقبة كبيرة أمّام التفكير العلميّ؛ لأنّه يلغي الحرّيّة ويمنع التواصل مع الأفكار الأخرى. أيّضاً قد يستعمل التعصّبُ العِلْمَ ويوجّهه ليستغله في تثبيت آرائه ومعتقداته، كمحاولة الأوروبيين إثبات أن الغرب يتفوّق على الشرّق عقليّاً، وذلك بتشريح شكلّ الدماغ وبنية الجسم، أو بإثبات تفوّق اللغات الأوروبيّة على اللغات الأخرى، وإعادة الفروق التّي بينها إلى الفروق بين القدرات العقليّة للأمم والشعوب.

ولكي يتقدّم التفكير العلميّ فلا بدّ من إلغاء كلّ صور التعصّب والانطواء على الذات، وتكريّس أثر الحوار وقبول الآخر، والإيمان بأنَّ الحَقيقَة عامّة بين كلّ الناس، لا يحقّ لأحد احتكارها أو حجبها أو التحدّث باسمها.

- كيف يمثل التعصّب خطراً على العِلْم؟

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- يُعتقد أنّ للآراء القديمة الموروثة أهميّة خاصّة.

٢- عجز العقل عن معرفة بعض الحقائق لا يعني أنّه عاجز بطبيعته.

٣- تعتمد الإعلانات التجاريّة على المشاهير والنجوم.

٤- التعصب الفكري أخطر أشكال التعصب.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- قارن بين التفكير الأسطوريّ والتفكير الخرافيّ.

٢- اشرح العناصر التي تجعل من المعرفة سلطة تعيق تقدّم العلم.

٣- يبدأ خصوم العقل من مقدّمة صحيحة وينتهون إلى نتيجة مغلوطة، فسّر ذلك.

ثالثاً- الموضوع:

التعصّب عقبة أساسيّة أمّام التفكير العلميّ، ناقش ذلك مبيّناً رأيك.

أخلاقيّات العلم

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتوقّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطة الدرس أنْ:

١- يدرك أنّ البحث في أخلاقيّات العلم هو أحد المجالات التي تربط بين العلم والفلسفة على مستوى الفكر والواقع.

٢- يحدّد أهمَّ معايير السلوك الأخلاقيّ في العلم (الأمانة العلميّة، الحذر، المسؤوليّة الاجتماعيّة، سمو الغايات، التعاون المتبادل، الانفتاح النقديّ، قبول الآخر).

٣- يثمّن أهميّة الالتزام بمعايير السلوك الأخلاقيّ وانعكاس ذلك على العلم والمجتمع.

٤- يوضّح الفرق بين السلوك العلميّ للعالِم وبين سلوكه العادي في الواقع الاجتماعيّ.

٥- يقدّر العلماء بوصفهم جزءاً من الفاعليّة الاجتماعيّة ذات التأثير المهمّ في حياة الجنس البشريّ.

٦- يعطي أمثلة عن المشكلات الأخلاقيّة المتعلّقة بالبيولوجيا والتقنيّة والهندسة الوراثيّة.

أخلاقيّات العِلْم

قضيّة للمناقشة:

إنّ الإنجازات التكنولوجيّة للعلم في القرن العشرين كانت وبالاً أدّى إلى جرّ الشُّرور والآلام على البشريّة، كان أولها ضحايا القنبلتين النوويتيّن، وانتشار التلوث البيئيّ، واستنفاد الموارد الطبيعيّة، وتهديد كرامة الجنس البشريّ، وإمكان تغيير وجوده الطبيعيّ بوساطة الاستنساخ والخلايا الجذعيّة والخارطة الجينيّة، ثمّ كانت آخر نتائج تكنولوجيا العلم إفراز مجتمع استهلاكيّ تفكّكت فيه الأواصر الإنسانيّة، وحلّت فيه الأنانيّة والجشع والعزلة».

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- ما النقد الذي يمكن توجيهه إلى العلم؟

٢- هل يسهم انتشار التكنولوجيا العلميَّة في سعادة البشر ولماذا؟

في ضوء ما سبق سنناقش الآتي:

أولاً- العلم ولأخلاق:

كان العلم في العصور السابقة مجالاً نظريّاً صرفاً ومنفصلاً عن المجال الأخلاقيّ، وذلك بسبب **الاختلاف الجوهريّ** الذي كان سائداً بين الاستعمال النظريّ للعقل في المعرفة، واستعماله العمليّ في الأخلاق، أمّا في عصرنا الحاضر، فقد أصبح التداخل وثيقاً بين المجالَين، وأصبح العلم يتدخّل في دراسة الطبيعة البشريّة، ويبحث في **أنماط سلوك الإنسان** وطرائق تفكيره، كما أصبح للأخلاق أثرٌ في **توجيه العلم وانتقاد طرائقه والإسهام في تحديد أهدافه وغاياته.**

غير أنّ هذا الانتقال من الانفصال التام بين العلم والأخلاق، إلى الترابط الوثيق بينهما، لم يحدث دفعة واحدة، بل مرّ عبر مراحل اقترنت بتطوّر العلم **وتحوّله من المجال النظريّ الصرف إلى المجال العمليّ المرتبط بالسلوك الإنسانيّ**، ويمكن ترتيب هذه المراحل على النحو الآتي:

١- بدأ مع مطلع العصر الحديث انهيار النموذج القديم للمعرفة الذي كان يؤكّد مقولة "**العلم لأجل العلم**"، وبدأ ظهور مفهوم جديد للعلم يهدف إلى **فهم الطبيعة الماديّة والسيطرة عليها، والقدرة على التحكّم في العالَم الخارجيّ.**

٢- بعد مدّةٍ وجيزة بدأ العلم يتوجّه نحو دراسة الطبيعة البشريّة، بعدما كانت موضوعاً تقليديّاً من موضوعات الفلسفة النظريّة، فنشأت العلوم الإنسانيّة الأساسيّة، كعلم النفس وعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا التي هدفت إلى **فهم الطبيعة البشريّة، واكتشاف قوانين عملها، ومحاولة توجيهها والسيطرة عليها.**

٣- أدّت المرحلة السابقة إلى التقريب بين مجالَي المعرفة العلميّة النظريّة والتطبيق العمليّ لهذه المعرفة، وتحويل العلم إلى نوع من السلوك يهدف إلى **دراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة من حوله، وإلى تغيير الظروف الطبيعيّة المحيطة وتطويرها.**

٤- أدّى هذا التقريب بين المجال النظريّ والتطبيق العمليّ إلى إثارة مشكلات أخلاقيّة إنسانيّة تتعلّق **بكيفيّة استعمال العلم، ونوعيّة الأهداف التي يجب أن يخدمَها، ومدى استفادة الإنسان منها،** مثال ذلك: هل يجوز أنْ يخدم العلم الاتجاهات الداعية إلى الحروب والتسليح؟

٥- ازداد في عصرنا الحاليِّ التداخل الوثيق بين العلم والأخلاق، **عندما أصبح العلم يتّصل بالمشكلات الحيويّة والمصيريّة للإنسان،** كالمشكلات المرتبطة بحياة الإنسان وموته، ومشكلات التزايد السكانيّ، والأزمات الغذائيّة، والتلوث البيئيّ، وتجديد مصادر الطاقة.

ثانياً- السلوك العلميّ والمسؤوليّة الأخلاقيّة:

المسؤوليّة الأخلاقيّة مسؤوليّة جماعيّة، لا تنطبق على فئة من فئات المجتمع بمعزل عن غيرها، بل تفرض سلطانها على أفراد المجتمع الإنسانيّ جميعهم، وتلزمهم ممارسة الحكم الأخلاقيّ وتطبيقه في كلّ أنماط السلوك التي تخصّ خياراتهم وأعمالهم وعلاقاتهم وشؤونهم الخاصّة. **ورغم أنّ هذه المسؤوليّة واحدة في الجوهر، لكنّها متنوعة ومتباينة في التطبيق والممارسة، تختلف باختلاف الفئات والجماعات والمواقف والظروف،** فأخلاق الريف تختلف عن أخلاق المدينة، وأخلاق العائلة تختلف عن أخلاق السوق، وكذلك تختلف أخلاق المهن تبعاً لاختلاف المهن نفسها.

لذلك ينبغي على المشتغلين في العلم، سواء كانوا علماء أم عاملين في مجال البحث العلميّ، أن يلتزموا بالمعايير الأخلاقيّة الخاصّة بأنماط السلوك المتعلّقة بمجال البحث العلميّ التي تتحدّد في ثلاثة محاور رئيسة، هي:

أ- **احترام العلماء والباحثين للعلم**، وتثمين قيمته وأهميّته، والتفاني في البحث العلميّ بعيداً عن النزعات الأنانيّة والمصالح الشخصيّة الضيّقة.

ب- **الالتزام الأخلاقيّ بين أعضاء المجتمع العلميّ** الذي يحمل العالِم على تقدير غيره من العلماء، والاعتراف بفضلهم وإنجازاتهم العلميّة، والحوارُ الجادُّ بين أفراد المجتمع العلميّ في كلّ أنحاء العالَم المتضمّن تقديم النصّح والمشورة العلميّة، وتقبّل النقد، والاعتقاد بأنّ الإنتاج العلميّ جهد تشاركيّ جماعيّ لا يختصّ به عالِم بعينه.

ج- **المسؤوليّة الأخلاقيّة التي يجب أن يتحلى بها العلماء تُجاه المجتمع**، فالمجتمع هو المستفيد الأوّل من النتائج الايجابية للعِلم، وهو، بالمقابل، المتضرّر الأكبر من نتائجه السلبية.

- ما انعكاسات المسؤولية الأخلاقية للعلماء على المجتمع؟

ثالثاً– معايير السلوك الأخلاقيّ في البحث العلميّ:

ينبغي على الباحث أن يتقيّد بمعايير أخلاقيّة خاصّة عندما يقوم باختيار موضوع بحثه العلميّ وإنجازه، ومن أهمّ هذه المعايير:

١- اختيار موضوع البحث الذي يعزم على إنجازه **بما لا يتنافى مع القيم والفضائل الإنسانيّة العامّة**، فلا يختار، مثلاً، بحثاً في تطوير التكنولوجيا يكون الهدف منه اختراق خصوصيّات الآخرين.

٢- اختيار مشروع البحث بما **يتّفق مع المسؤوليّة العلميّة والالتزام الأخلاقيّ**، فلا يمضي في بحثه إذا كانت مسوّغات البحث غير كافيةٍ، أو كانت نتائجه غير مهمّة أو نافعة؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى إهدار الجهد والوقت.

٣- اختيار أدواتِ البحث وطرائقه ضمن **الضوابط الأخلاقيّة العامّة**، فلا يجوز لعالِم البيولوجيا مثلاً أن يجري تجاربه على أيّ شخص من دون التأكّد من أنّ هذه التجارب لا تهدّد حياته، ولا تضرُّ بصحته الجسديّة أو النفسيّة، وألّا يجري أيّ تجربة إلّا بعد إطلاع المتطوّعين على موضوعها وأهميّتها والنتائج المترتبة عليها، ومن ثمّ موافقتهم على إجرائها.

٤- **الالتزام بالحفاظ على البيئة وعدم الإضرار بها**؛ إذ ينبغي على الباحث أن يتوخّى في تجاربه وعمليّاته العلميّة الحرص الشديد على الكائنات الحية الأخرى، وعلى موارد الطبيعة،

ولا سيما الموارد النادرة، وأنْ يستعملها بالشكل الأمثل وأن يسعى، قدر الإمكان، إلى التقليل من المنتجات الضارّة بالبيئة، في حال لم يكن تجنب هذه المنتجات ممكناً.

٥- **أن يوازن الباحث بين منافع تطبيق نتائجه العلميّة ومضارها،** فيجب عليه أن ينصرف عن المضي في البحث إذا كانت المضارُّ المحتملة أكبر من المنافع المتوخّاة، مثال ذلك أن تتوجّه أبحاث علماء توليد الطاقة إلى تطوير المصادر الآمنة والطبيعيّة، والتقليل من الاعتماد على المفاعلات النوويّة في إنتاج الطاقة، سعياً إلى إيقافها بشكلٍ كلّي، وذلك لصعوبة التخلص من نفاياتها النووية السامة، إضافة إلى أخطار التلوث النووي الذي يهدد الإنسان والطبيعة.

وينبغي التأكيد على أهميّة **أثر الضمير والرقابة الذاتيّة** في التزام الباحث بهذه المعايير؛ إذ لا يمكن فرض أيَّةُ سلطة أو رقابة خارجيّة على العلماء، فلهم الحقّ في التمسّك بسريّة أبحاثهم وخصوصيّتها، ولا رقيب عليهم عندما يكونون في معاملهم أو مختبراتهم، ناهيك عن الآثار السلبيّة التي يمكن أن تنتج عن فرض أيّ رقابة عليهم، فذلك قد يؤدّي إلى **تشتيت عملهم وتقييد حرّيّاتهم،** وقد يؤدّي إلى **هجرتهم بعيداً عن أوطانهم،** أو **انصرافهم عن المشاركة في البحث العلميّ الجادّ.**

رابعاً- خصائص الشخصيّة العلميّة:

ينبغي التفريق بين جانبين اثنين في شخصيّة العالِم، يتعلّق الجانب الأوّل منهما **بحياته الخاصّة وشؤونه اليوميّة، وبطريقته الفرديّة التي يدير بوساطتها هذه الشؤون** التي قد لا يختلف فيها عن غيره ممّن هم ليسوا علماء.

أمّا الجانب الثاني، **فيتعلق بالصفات والسلوكيّات الخاصّة التي ترتبط بالعالِم من جهة الحقل المهنيِّ الذي ينتمي إليه،** ومع أن هذه الصفات والسلوكيّات لا تنطبق على جميع العلماء وفي الأحوال جميعها، إلا أنّها سمات تنطبق على السواد الأعظم منهم، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ **العلماء كبقيّة البشر متفاوتون في ما بينهم من حيث القدرات والكفاءات والملَكَات.**

وكثيراً ما يخلط الناس بين هذين الجانبين المتباينين في شخصيّة العالِم، فينسون أنه إنسان له ما للبشر من عواطف وانفعالات وجوانب ضعف، وغالباً ما يكون في حياته الخاصّة بعيداً عن الصورة النمطيّة التي يكوّنها الناس عنه، إذ يتخيّل الناس أنّ العالِم يتصرف في

شؤون حياته اليوميّة العاديّة، كأن يأكلّ وينام ويحبّ ويكره ويفرح...، بصفته عالماً، متوهّمين أنّ مهنته تنعكس على أدقّ تفاصيل حياته، وكثيراً ما تعمل الأفلام السينمائيّة والأعمال الروائيّة تضخيم هذا الوهم؛ **لأنّها تركّز على السمات المهنيّة للعالِم، وتهمل فيه الجوانب الإنسانيّة الأخرى.**

والفرق الرئيس بين جانبي شخصيّة العالِم أنّ **الأوّل** منهما يتّسم "**بالذاتيّة**" التي ترتبط بطبيعته البشريّة أوّلاً، **وبالفروق الفرديّة** بين إنسان وآخر ثانياً.

أمّا **الثاني،** فيتسّم "**بالموضوعيّة**" التي ترتبط بطبيعة العلم وأدواته، وتتجلّى سمة "الموضوعيّة" في شخصيّة العالِم في **خصائصَ** عدّة، أهمّها:

١- **الحياد:**

وهو ضد التحيّز، ويعني أنْ لا يميل العالِم مسبقاً إلى أيّ طرف من أطراف الخلاف العلميّ أو النزاع الفكريّ، وأن يقف من الآراء المتعارضة موقفاً واحداً، ويعتني بها جميعها من دون تفريق أو تمييز، وبغض النظر عن مصالحه وأهوائه، وعندما يعلن العالِم في نتائجه تحيّزه لأيّ موقف يجب أن يكون هذا التحيّز مبنياً على **تمسكه بالكشف عن الحقيقة،** وتقديم البراهين الصادقة والحجج الموضوعيّة، بعيداً عن رغباته وميوله الذاتيّة.

٢- **النزاهة:**

ثمّة رابط وثيق بين النزاهة والموضوعيّة، لأنّ الأُولى تقوم على إنكار واستبعاد رغبات الذات وميولها وانفعالاتها، ومن أهمِّ مظاهر نزاهة العالِم أن **يلتزم** "**بالأمانة العلميّة**"، فلا ينسب معرفة ما إلى نفسه إذا كان قد حصل عليها من غيره؛ لأنّ حقوق الملكيّة الفكريّة كحقوق الملكيّة الماديّة، تقوم على جهد الفرد ومشروعيّة امتلاكه لها، وينبغي ثانياً أن يكون العالِم نزيهاً في تقديم أدلّته وبراهينه، **فلا يعتمد على التأثير في انفعالات الناس وأهوائهم،** أو **انتهاز مكامن ضعفهم،** ويجب، ثالثاً ،أنْ يكون جهد العالِم **منزّهاً عن الربح الماديّ،** وساعياً إلى الحقيقة نفسها غاضّاً الطرف عمّا يمكن أن يجنيه من مكاسب.

٣- **الروح النقديّة:**

وتعني أن يكون العالِم متحلياً **بمَلَكَة انتقاديّة** تجنّبه الوقوع في الأغلاط السائرة والمسلمات السائدة وأنماط التفكير الخرافيّ أو الغيبيّ، ويكون في الوقت نفسه، قادراً على **نقد ذاته وعدم الاستسلام لمعرفته** من دون بيّنة أو برهان، وأن يكون واسع الصدر في

قبول نقد الآخرين، معترفاً بأنّه لا يحقّ لأحد أن يدّعي أنّه وحده القادر على المعرفة وامتلاك الحقيقة.

٤- **التواضع:**

يتفوّق العلماء على غيرهم في امتلاك المعرفة، لكن ذلك لا يسوّغ لهم أنْ يسلكوا مسلك الغرور والتكبر؛ إذ إنَّ العالِمَ الحقَّ لا يقارن معرفته بمعرفة الآخرين من غير العلماء، بل يُقارن بين القليل الذي يعرفه والكثير الذي لم يتمكّن من معرفته بعد، وينبغي ألا يتوهّم العالِم أنَّ ما يعرفه إنما حصل عليه بمفرده؛ لأنّ أيّ كشف علميّ جديد ما كان ليتحقّق **لولا جهود العلماء السابقين**، ذلك أنَّ أعظم العلماء الذين عرفهم التاريخ تميَّزوا بتواضع شديد قلَّ نظيره بالقياس إلى غيرهم من القادة والمبدعين والسياسيين.

- كيف تتجلّى الموضوعيّة في الخصائص الأخلاقيّة للشخصيّة العلميّة؟

خامساً– مسؤوليّة العالِم اتجاه المجتمع:

لم يكن هذا الارتباط الوثيق بين العلم والأخلاق ليقوم لولا تحوّل العِلم من **مجال نظريّ** بحت، إلى **ممارسات وتطبيقات عمليّة** أدّت نتائجها إلى التأثير على الحياة الإنسانيّة بشكل مباشر وكبير، وفي الحقيقة لم تكن هذه النتائج إيجابية دائماً، بل لقد أدى تطوّر العلم في بعض الأحيان إلى **كوارث حقيقيّة**، ما كانت لتحصل لو أنّه بقي رهين **التأمّل النظريّ** البعيد عن الممارسة والتطبيق.

من جهة ثانية، لا يمكن إنكار ما قدّمه العِلم من **خدمات عظيمة** للنوع البشريّ، فقد ذهب بعض الفلاسفة ومؤرّخي العلم إلى أن مستقبل البشريّة سيبقى مرتبطاً بالعلم؛ لأنّه وحده القادر على **تجاوز كلّ المشكلات والصعوبات والتحديّات الحاليّة**، أو التي يمكن أن تنشأ لاحقاً.

أمام هذين الموقفين، تتضح المسؤوليّة الملقاة على عاتق العلماء، فهم مسؤولون، أولاً، من **جهة المجتمع المحليّ الذي ينتمون إليه**، ومسؤولون، ثانياً، **أمّام المجتمع العالميّ** بعد أن أصبحت حقائق العلم ومنجزاته **مِلْكيّة عالميّة** لا يجوز لأيَّة جهةٍ احتكارها أو الاستفادة منها من دون الآخرين.

ورغم ذلك، ليس العلماء فقط مَنْ يتحمَّل هذه المسؤوليّة من دون غيرهم، بل يتقاسمها معهم المجتمع نفسه، بما يتضمّنه من مؤسّسات سياسيّة ونقابيّة وثقافيّة واقتصاديّة. وإذا كان الحياد هو السِّمة التي يجب أن يتَّسم بها العالِم، فإنّها سِمة أساسيّة من سمات العلم؛ إذ ليس في

نتائج العلم حقائق أو قوانين أو اكتشافات **تكون خيّرة أو شريرة في ذاتها**، إنّما يتحدّد الخير والشرّ في طريقة **تطبيق هذه النتائج** وتحويلها إلى واقع ماديّ محسوس.

● ما المسؤوليَّةُ الملقاةُ على عاتق على العلماءِ؟

أسئلة التقويم والمناقشة:

أولاً– علّل ما يأتي:

١- أصبح التداخل وثيقاً بين العلم والأخلاق في العصر الحالي.

٢- عدم اختيار أبحاث في التكنولوجيا تؤدّي إلى اختراق خصوصيّات الآخرين.

٣- قد يؤدّي فرض الرقابة على العلماء إلى آثار سلبيّة.

٤- الحياد سمة أساسيّة تتّسم بها قوانين العلم واكتشافاته.

ثانياً– أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ما المراحل التي مرَّ بها العلم في تحوّله من الانفصال عن الأخلاق إلى الارتباط الوثيق بها؟

٢- ما المحاور الرئيسة التي تحدّد المعايير الأخلاقيّة في البحث العلميّ؟

٣- اشرح ثلاثة معايير تراها مهمّة لكي يتقيّد بها الباحث عند اختيار موضوع بحثه.

٤- كيف ينعكس كلّ من سمتي النزاهة والتواضع في سلوك العالِم؟

ثالثاً– الموضوع:

يتحمّل العالِم مسؤوليّة كبيرة أمام المجتمع بسبب ما للعلم من تأثير في تطوّر المجتمع ومصيره، ناقش طبيعة هذه المسؤوليّة وحدودها معلّلاً رأيك.

المراجع:

–زكريا، فؤاد. (١٩٧٨). التفكير العلميّ. *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب، الكويت.

–صالح، عبد الحسن. (١٩٨١). التنّبؤ العلميّ ومستقبل الإنسان. *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب، الكويت.

–ديكنسون، جون ب. (١٩٨٧). العلم والمشتغلون بالبحث العلميّ في العصر الحديث. *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب، الكويت.

–تريفيل، جيمس. (٢٠١٠). لماذا العلم؟ *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنّون والآداب، الكويت.

العلم والمجتمع

الأهداف التعليميّة:

يتوقّع من الطالب بعد الانتهاء من أنشطة الدرس أن:

١- يشرحَ أثر العلم في نشوء الحضارة.

٢- يدرك علاقة العلم بالتكنولوجيا.

٣- يعرّف مجتمع المعرفة.

٤- يذكر بعض التغيُّرات الاجتماعيّة التي أدّت إليها التقنيّة.

٥- يستنتج الإيجابيّات والسلبيّات في التقدّم العلميّ.

العلم والمجتمع

قضية المناقشة:

" أصبح الإنسان رهينَ التكنولوجيا في حياته اليوميّة من إطفاء المنبه الإلكتروني في الصباح، إلى إطفاء الإنارة للخلود إلى النوم ليلاً".

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- هل تعتقد أنّ التكنولوجيا تسيطر على حياة الإنسان؟ ولماذا؟

٢- ما الأعمال التي يمكنك القيامُ بها من دون الاعتماد على التكنولوجيا؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- العلم والتطور الإنساني:

عرفتِ المجتمعاتُ الإنسانيّة القديمة العلم، ولكن تأثيره في تطوُّر هذه المجتمعات بقي محصوراً وضيقاً لأسباب مختلفة، أهمّها أنّ التراكم العلميّ **لم يصل إلى الدرجة** التي تجعل منه **قوّةً فاعلة ومؤثّرة** يستخدمها الإنسان للسيطرة على الطبيعة، أو لحلّ المشكلات وتجاوز العقبات التي تحدّ من تطوّره ورقيّه.

لذلك فقد كانت مسيرة العلم بطيئةً ومتعثّرة لمرحلة طويلة، حيث بدأت نظريًّاً في اليونان وتسارعت، عندما أسهمت الحضارة العربية الإسلامية الوسيطة في دفع عجلة التقدّم العلمي من خلال **اكتشاف المناهج العلميّة** على يد كلٍّ من جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، وابن النفيس، وغيرهم آخرون ممّن أسهموا في **تحويل** المعارف العلمية إلى **تطبيقاتٍ ومنجزات** يمكن الاستفادةُ منها في سدّ حاجات الإنسان، وتمكينه من تطوير حياته عبر إنشاء المدن وتنظيمها.

وفي النصف الثاني من الألفيّة الثانية، استطاعت الحضارة الأوروبيّة الناشئة أن تضيف إلى الحضارة العربية نُقلة مهمّة على صعيد التطوّر العلميّ، تمثّلت في **نشأة العلوم الطبيعية واستقلالها**، وقد ترافق هذا الإنجاز مع زوال الشكل القديم للمجتمع الأوروبي وولادة المجتمع الأوروبي الحديث، عبر الانتقال من المجتمع **الإقطاعيّ** إلى المجتمع **البرجوازيّ الصناعي** الحديث.

أدّى تأثير العلم الطبيعي في تطوير الصناعات إلى الاهتمام به بوصفه قوةً تسهم في زيادة الإنتاج؛ عبر اختراع الآلات وتوفير الجهد وزيادة الإنتاج بهدف تراكم الأرباح، فشجّع

هذا الأمر على تقدّم البحث العلمي وتطويره **مدعوماً برأس المال** وتشجيع الجامعات الأوروبية، بالإضافة إلى مناخ **الاستقرار السياسي والاجتماعي** الذي ساد أوروبا في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهي الفترة التي شهدت ولادة عصر التكنولوجيا الذي نعرفه اليوم.

ثانيا – العلم والتكنولوجيا:

ترتبط التكنولوجيا بالعلم ارتباطاً وثيقاً، إذ إن جوهرها يعتمد على **تحويل النتائج العلميّة النظريّة إلى تطبيقات عمليّة**، تُمكّن الإنسان من **تنظيم** الطبيعة **والسيطرة** عليها لسدّ حاجاته بشكل أفضلَ، وإيجاد **الحلول** لمشكلاته، وتحقيق **رفاهيَّته وسعادته**، ويمكن رصد تطوّر علاقة العلم بالتكنولوجيا عبر مراحل عدّة، على الشكل الآتي:

١- العلم لأجل العلم:

كان العلم يتطوّر سابقاً نتيجة جهود العلماء وتفانيهم في خدمته، من دون أن ينتظروا منه أيَّة فائدة على الصعيد الشخصيّ، أو يفكّروا في تحويل نتائجه واكتشافاته إلى تطبيقات عملية تسهم في تطوّر الإنسان وتقدّم عجلة الحضارة، فكان شعار **(العلم لأجل العلم)** هو المبدأ الذي يوجّه جهود العلماء وأبحاثهم. ورغم أهميّة هذا المبدأ فقد عمل على **إعاقة** سرعة تقدّم العلم وانتشاره؛ لأنّ تقدمّه كان يرتهن أولاً بوجود **شخصيّات عبقرية** مستعدة للتنازل عن جزء كبير من حياتها الخاصة كي تتفرغ للبحث العلميّ، ويرتهن ثانياً لتوفّر **الظروف المناسبة والإمكانات المادية** التي تمكّن العالِم من الاستمرار في أبحاثه وتطويرها.

٢- ولادة التكنولوجيا:

ترافقت ولادة التكنولوجيا مع تراكم النظريّات والاكتشافات العلميّة في مجال الفيزياء، حين أسهم علم الميكانيك بدرجة حاسمة في **اختراع الآلة البخارية**، وأسهمت أبحاث العالِم الإنجليزي **فاراداي** في اكتشاف العلاقة بين الكهرباء والحقول المغناطيسيّة، التي مكّنت الإنسان من **إنتاج الطاقة وتخزينها**، فتمكّن من اختراع كلّ الأدوات الكهربائيّة التي نعرفها اليوم.

٣- العلم في خدمة التكنولوجيا:

أدّى التقدّم التكنولوجيّ إلى **توجيه الأنظار** نحو القوّة الهائلة التي يمكن أن يحقّقها العلم عير تحويله من نشاط معرفيّ فكريّ إلى **وسيلة للإنتاج**، ونبّه العلماء إلى توجيه أبحاثهم نحو المجالات التي يمكن الاستفادة منها في **خدمة** المجتمعات البشرية، مقابل ذلك التفت الاقتصاديون والصناعيون إلى **دعم** البحث العلميّ **وتوجيهه** نحو تطوير أعمالهم وصناعاتهم.

٤- التكنولوجيا في خدمة العلم:

أدّى تحوّل العلم إلى قوّة اقتصاديّة منتجة إلى العمل على تطويره وفتح آفاق جديدة له، وذلك من خلال **إنشاء** مراكز البحوث التقنيّة، **وتطوير** أدوات البحث العلمي في الجامعات، **وعقد** المؤتمرات العلميّة، وسرعة **تبادل الخبرات** بين العلماء والجهات العلميّة المختلفة عبر وسائل الاتصال الحديثة. والتفت السياسيّون إلى **دعم** البرامج العلميّة، **وتخصيص** ميزانيات لتغطية نفقاتها، **وتطوير** تكنولوجيا البحث العلميّ، التي تمكن العلماء من تجاوز الصعوبات، واكتشاف آفاق علميّة جديدة يمكن توظيفُها في خدمة المجتمع البشريّ وإحراز تقدّمه.

- انتقل العلم من خدمة التكنولوجيا إلى استخدامها، وضحّ ذلك.

ثالثاً- مجتمع المعرفة:

ارتبطت النقلات النوعية للمجتمع البشري بطفرات تطوّرية أدّت إلى تغيير شكل الاجتماع البشريّ بصورة جذريّة، ويتحدث علماء الأنثروبولوجيا عن نُقلات نوعيَّة ثلاث أسفرت عن مجتمعات متتالية ثلاثة عبر التاريخ الإنساني، هي: **المجتمع الزراعيّ، والمجتمع الصناعيّ، ومجتمع المعرفة** (أو المجتمع التكنولوجي).

ويُقصد **بمجتمع المعرفة** ذلك المجتمع العالميّ الذي يعمّ فيه انتشار المعلومات والتشارك فيها وتبادلها واستخدامها بشكل واسع، مجاناً أو بتكلفة قليلة، وذلك **بوساطة** الإنجازات التكنولوجية الجديدة في ميادين المعلومات والاتصالات والشابكة والفضائيّات.

وعلى الرغم من أنّ المجتمعاتِ المحليةَ ما زالت قائمة، فإن استمرار هذه المجتمعات وتطوّرها يبقى مرهوناً بمقدار **فاعليتها بالمشاركة** في مجتمع المعرفة، وفي **مقدرتها** على التكيّف والتغيّر بما يتناسب مع الإنجازات التقنية الجديدة، التي أدت إلى إحداث تغييرات نوعية في شكل المجتمعات التقليدية في جميع أنحاء العالم، ومن أهم هذه التغييرات:

١- **اتّساع** رقعة المدن القديمة ونشوء مدن جديدة، ما أفضى إلى **انحسار** الحياة الريفيّة وإهمالها، الأمر الذي أدّى إلى **خلخلة** التوزّع السكّاني، **واكتظاظ** المدن، والتهديد **بالانفجار السكّاني**.

٢- نشوء مدن اختصاصيّة **ذات سمات واحدة**، كمدن الاقتصاد ومدن الصناعة والمدن النفطية ومدن المعرفة والثقافة، وكان مِن نتيجةِ ذلك **تغييب** بعض الأنماط المعيشيّة **وسيادة** أنماط أخرى.

٣- الانفتاح بين المجتمعات، ونشوء ظاهرة **استيراد الثقافات**، بشكلٍ سبَّبَ أزمات في المجتمعات الأضعف، عُبّر عنها بصور مختلفة، منها "**المجتمع الاستهلاكيّ**" و"**الغزو الثقافي**".

٤- **تبدّل** منظومة القيم، **وضمور رقابة** التقاليد والأعراف الاجتماعيّة، ما أدى إلى نشوء صراع بين الأجيال نتيجة التباين بين مواقف الآباء والأبناء وآرائهم.

٥- تسبَّبَ احتكار المعلومات والتكنولوجيا في صنع **هوّة واسعة** بين بعض المجتمعات، وازدادت سمات الاختلاف بين الدول المتقدّمة والدول المتخلّفة.

٦- ازدياد وتيرة **التسارع** في نمط الحياة الفرديّة أو الجماعيّة، نتيجة التسابق المحموم في إنتاج المعرفة، وتحويلها إلى قوّة اقتصادية.

تعكس هذه التغيّرات حالات إيجابيةً وأخرى سلبية، أدّت في بعض الأحيان إلى **نتائجَ نافعةٍ** مثل الحفاظ على حياة الإنسان، وازدياد معدّلات النموّ البشريّ، وازدياد متوسّط عمر الإنسان، وتحقيق مستوىً أعلى من الرفاهية، رافقتها **مشكلاتٌ عالميّةٌ** كانتشار التلوّث البيئيّ، ونفاد مصادر الطاقة، ونقص الموارد الغذائيّة.

ورغم أنّ سبب هذه المشكلات **يعود** في جزء كبير منه إلى التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ، فإنّ البشريّة **تعوّل** على العلم في إيجاد السبل الكفيلة لحلّ تلك المشكلات وتجاوزها، وذلك عبر **المشاركة العادلة** فيه بين جميع المجتمعات، ووضع **خطط سياسيّة وتنمويّة** بعيدة المدى، **مدعومة** بالهيئات والمنظّمات الدولية القادرة على فرض **فرص متساوية وعادلة**، تنال جميع الأمم فيها نصيبها من المعرفة والتقدّم والرفاهية.

- اذكر بعض التغيّرات التي أدى إليها التقدّم العلميّ في مجتمعك.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- كان تأثير العلم في المجتمعات القديمة محصوراً وضيّقاً.

٢- أدّى التقدّم التكنولوجي إلى نشوء صراع بين الأجيال.

ثانياً- أجب عن السؤالين الآتيين:

١- وضّح كيف أدّى مبدأ (العلم لأجل العلم) إلى إعاقة التقدّم التكنولوجيّ.

٢- اشرح كيف تحوّل العلم من خدمة التكنولوجيا إلى الاستفادة منها.

ثالثاً- الموضوع:

أدّى التقدّم العلمي والتكنولوجي إلى تغيّرات جذريّة في المجتمعات المعاصرة، أدت إلى نتائج سلبيّة وأخرى إيجابيّة، ناقش هذا الموضوع وبيّن رأيك.

المراجع:

- الداوي، عبد الرزاق. (٢٠١٢). مجتمع المعرفة – معالم رؤية تكنولوجيّة جديدة للعالم. *مجلة عالم الفكر*، العدد الثالث، مجلد ٤٠، الكويت.
- تريفيل، جيمس. (٢٠١٠). لماذا العلم؟ *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- زكريا، فؤاد .(١٩٧٨).التفكير العلميّ. *سلسلة عالم المعرفة*، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

تحليل نص

(أزمة العلوم الأوروبية)



إدموند هوسرل

البشريَّة الأوروبيّة أجرت على ذاتها تحوُّلاً ثوريّاً. فقد ثارت على كيفيَّة وجودها الوسطويّة القائمة إلى ذلك الحين ونزعت عنها تيمتها. كانت تريد أن تعيد تشكيل ذاتها بحريَّة، وكان المثل المثير لإعجابها هو البشريَّة القديمة، لهذا أرادت أن تحاكي كيفية وجودها. ما الذي اعتبرته أساسياً لدى الإنسان القديم؟ لا شيء سوى الشكل الفلسفيّ للوجود الذي يتمثل في أن يضع الإنسان بحرية لذاته ولحياته بأكملها قواعد انطلاقاً من العقل المحض، للفلسفة. الفلسفة النظريَّة تحتل المكانة الأولى. يجب إذن إنشاء اعتبارٍ متأمّلٍ للعالم متحررٍ من قيود الأسطورة والتقليد، أو معرفة شاملة بالعالم والإنسان متحررةٍ بالمطلق من الأحكام المسبقة، تتعرف آخر الأمر في العالم ذاته إلى الغائيَّة التي تسكنه وإلى مبدئه الأعلى: الإله. إنَّ الفلسفة نظريَّة لا تجعل الباحث وحده حراً، بل كذلك كلّ من له تكوين فلسفيّ. ومن الاستقلاليَّة النظريَّة تترتب الاستقلاليَّة العمليَّة. الإنسان القديم في المثل الموجِّه هو الإنسان الذي يُشكِّل ذاته بتبصُّر على أساس العقل الحرّ، أي الإنسان الذي يُشكِّل عالمه المحيط بأسره، أي العالم الثقافيّ، والحياة الاجتماعية، انطلاقاً من العقل الحرّ. طبقاً لهذا النموذج الذي فرض ذاته في البداية على صعيد أفراد ودوائر صغيرة، يجب أن تنشأ فلسفة نظريَّة جديدة لا يتم تبنيها ببساطة تقليداً، بل يجب أن تنشأ من جديد على أساس البحث والنقد الشخصيين، لكن في

المعنى القديم لعلم شامل بالكائن عموماً. وهذا قاد إلى بذل مجهودات من أجل المنهج الحقيقيّ. ننتقل فوراً إلى الاعتبارات الأساسية المنهجية لغاليليه وديكارت التي افتتحت التاريخ الفلسفيّ للعصر الحديث. عنها، وبكيفية خاصة تماماً عن "تأملات" ديكارت، نشأ الانقلاب الذي مسَّ الأسلوب العام للفلسفة التي أُخذت عن القدماء وعن السكولائيين. عرفت الفروع التقليدية القديمة للرياضيات وعلم الطبيعة خلال ذلك انقلابات جوهرية مسَّت مهمتها ومنهجها. لكن التحول يتبين أيضاً في الكيفية التي تمت بها انطلاقاً من ذلك السيطرة النسقيَّة على العالم الثقافيّ كلَّه. هنا تكمن البداية المنهجيَّة لنموذجيَّة العلوم الطبيعيَّة الدقيقة، ويكمن منذ ديكارت السعي نحو رياضيات كليَّة. منذ البداية ظهرت على يد هوبز سيكولوجيا جديدة من نوعها، وعلم عام بالإنسان الاجتماعيّ؛ هذه السيكولوجيا جديدة من نوعها لأنها تحددت من نموذج علم الطبيعة، إنها سيكولوجيا سيكوفيزيائيَّة طبيعيَّة النزعة تتوجَّه بكيفيَّة محضة نحو التفسير السببيّ، وهو ما كان بعيداً تماماً عن العصر القديم.

بعد ذلك تمَّ في المنهج نفسه أيضاً إنجاز الميتافيزيقا الجديدة (التي بقيت طبعاً خاضعة بشكل قويّ للسكولائيَّة) في نظام هندسيّ هي أيضاً. وهكذا ظهر أنَّ الفلسفة كلّها، العلم الكليّ، قد نجحت في روحها فعلاً انطلاقاً من العقل المحض. المثال الكلاسيكيّ على ما أُريد وما حُرِّك بوصفه مهمة شاملة، العمل كلّه يتمثل في مشروع النسق الفلسفيّ لسبينوزا، الأخلاق على الطريقة الهندسيّة البرهانيَّة.

ومع ذلك فقد كانت تكمن في اندفاع هذا التطور سذاجة خفيَّة غطت الاستحالة الداخليَّة لكلّ مسعى نحو علم شامل في هذا الأسلوب. أصبحت هذه الاستحالة محسوسة، وإن كان ذلك بكيفيَّة غامضة. كما نشأ إحساس بالفشل، وشعور بالقصور النظريّ، وذلك رغم أنَّ نهوض إنجازات مدهشة في مجموعة من العلوم الجزئيَّة، العلوم الرياضية الرائدة، كان ظاهراً للعِيان. ننتبه في هذا السياق للخط المزدوج للتطور الفلسفيّ الذي كان منبعه الأصليّ هو الكتابات الافتتاحيَّة المنهجيَّة لديكارت. أُذكِّر بجذريّة "التأملات"، بمنهجها في هدم الفلسفة القائمة وبدايتها الجديدة في تحرُّر مطلق من الأحكام المسبقة. تمَّ وضع كلّ العلوم القائمة إلى ذلك الحين، بما فيها الرياضيات الدقيقة للأقدمين، موضع شك؛ لكن تمَّ الشك أيضاً في عالم الحياة العمليَّة اليوميَّة الذي يُفترض دائماً بسذاجة، والذي لم تضعه أبداً جديّاً موضع سؤال. هذا العالم انكشف الآن بصفته ذاتيّاً تماماً. قام ديكارت، كما هو معروف، بالشك في العالم الحسيّ بوصفه

أرضيَّةً للعلم خدمة لذلك التوجُّه الارتدادي إلى ذاتيَّة الوعي، إلى أنا أفعال التفكير مع مفكَّراتها، التمثلات الذاتيَّة المحضة التي من خلالها تتجلَّى هذه الأشياء أو تلك حسيّاً، وبتعبير شمولي: العالم.

توضيحات:

هذا النصُّ مأخوذ من كتاب إدموند هوسرل " أزمة العلوم الأوروبيَّة والفنومينولوجيا الترنسندنتاليَّة: مدخل إلى الفلسفة الفنومينولوجيّة"، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربيَّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨ ، ص:٤٧٩ – ٤٨١ .

إدموند هوسرل (١٨٥٩ – ١٩٣٨) فيلسوف ألمانيّ، عُني بتأسيس توجُه فلسفيّ جديد هو الفنومينولوجيا الترنسندنتاليّة ويعني به علم ظواهر متعالٍ حيث يصير الفيلسوف بمثابة ذات متعالية على مستوى قدرتها على المعرفة تتحوّل كلّ ظواهر الوجود في وعيها إلى ماهيات عقليَّة من خلال تطبيق خطوات منهجيّة مدروسة بعناية فائقة. تتلمذ على هوسرل عدد من أهم الفلاسفة مثل مارتن هيدغر وماكس شيلر وأويغن فنك... وقد كان لفلسفة هوسرل الفومينولوجيَّة تأثير كبير في فلسفة القرن العشرين وبصورة خاصّة في الفلاسفة الوجوديين من أمثال مارتن هيدغر، جان بول سارتر، موريس ميرلوبونتي إلخ. ويظهر النصّ أعلاه تحليلات هوسرل للتأثيرات المتبادلة بين الفلسفة والعلم في سياق خاصّ يدلّ على رغبته في التأسيس لعلم جديد شامل هو في منظوره الفنومينولوجيا أو علم الظواهر.

تيمة: Theme : تُترجم هذه الكلمة حرفيّاً حاملةً دلالات مختلفة، مثل: ١–موضوع الكلام أو الكتابة (= موضوعة)؛ ٢– جذر الكلمة؛ ٣– الإنشاء: مقالة قصيرة يُطلب إلى الطلاب كتابتها. ويقصد بها هوسرل في هذا السياق الموضوعة التفكُّريَّة على وجه العموم التي سادت في العصور الوسطى.

الإنسان القديم: يعني به هوسرل في هذا السياق الإنسان اليونانيّ الذي عاش في كنف حضارة كان للفلسفة النظريَّة فيها دور كبير في تكوين وعي الإنسان وتحديد نظرته إلى ذاته.

تأملات ديكارت: يُقصد بها الأفكار التي قدَّمها ديكارت في كتابه " تأمُّلات في الفلسفة الأولى"، وهذه التأملات هي الآتية:١ – في الأشياء التي يمكن أن توضع موضع الشك؛ ٢ – في معرفة النَّفس الإنسانيَّة وأنَّ معرفتها أيسر من معرفة الجسم؛ ٣ – في الله وأنه موجود؛ ٤ – في الصواب والخطأ؛ ٥ – في ماهية الأشياء الماديَّة والعودة إلى الله ووجوده؛ ٦ – في

وجود الأشياء الماديَّة وفي التمييز الحقيقيّ بين نفس الإنسان وبدنه؛ وقد تُرجِمَ هذا الكتاب عن الفرنسيَّة إلى اللغة العربيَّة من قِبَل المفكِّر المصريّ عثمان أمين.

السكولائيون: الفلاسفة المدرسيون في العصر الوسيط الذين جمعوا بين فلسفة أرسطو وعلم اللاهوت المسيحيّ.

رياضيات كليَّة: نشأت فكرة الرياضيات الكليَّة بسبب آراء ديكارت الذي اعتبر أنَّ الرياضيات يجب أن تكون المثل الأعلى للعلم، بمعنى أنَّ منهجيَّة العلم يجب أن تكون رياضيَّة تنزل من المبادئ إلى نتائجها، فيتم تبيان أنَّ علّة النتائج تكون في مبادئها وقد أراد ديكارت تطبيق هذه المنهجيَّة على الطبيعة، وهو بذلك يخالف منهج أرسطو على مستوى علم الطبيعة والذي يقوم على وصف الموجود المحسوس غالباً وفي حال الإمكان يتم الارتفاع إلى المبدأ المعقول.

الأخلاق على الطريقة الهندسية البرهانيّة: منهج ابتكره الفيلسوف باروخ سبينوزا إذ يعالج فيه طبيعة الانفعالات وقوتها وما للنَّفس من سلطان عليها كما لو كان الأمر يتعلَّق بخطوط وسطوح وجوامد.

-المناقشة:

اقرأ النصّ قراءة متأنية صامتة ثمّ أجب على الأسئلة الآتية:

١. حدّد المصطلحات الجديدة الواردة في النص.
٢. لخّص أهمّ الفِكر الأساسيّة الواردة في النص.
٣. استنتج الإشكاليّة الأساسيّة في النص.
٤. ما الفكرة التي يدافع عنها الفيلسوف في النص؟ وهل تتفق معه أم تعارضه؟ ولماذا؟
٥. ما الطريقة التي دافع بها الفيلسوف عن أفكاره؟
٦. اقترح عنواناً آخر مناسباً للنص.
٧. بيِّن كيفيَّة توظيف هوسرل لمصطلح "البشريّة الأوروبيَّة"؟
٨. ما الذي يقصده هوسرل بـــ"الإنسان القديم" في سياق النصّ؟
٩. فسِّر قول هوسرل: " إنَّ الفلسفة نظريَّة لا تجعل الباحث وحده حرّاً، بل كذلك كلّ من له تكوين فلسفيّ.

الحرية

الدرس الأول	فلسفة الحريّة
الدرس الثاني	الحريّة الداخليّة
الرس الثالث	الحريّة و المجتمع
الدرس الرابع	تحليل نص (الحرية خاصيَّة تتميز بها إرادة جميع الكائنات العاقلة) كانط

فلســفة الحُريَّــة

الأهداف التعليميّة:

يُتوقّعُ من الطالبِ بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١. يوضّح سبب عدم الاتفاق على تحديد معنى الحُريَّة وكيفية تحقيقها.

٢. يُميِّزَ بين الدلالات المختلفة لمفهوم الحُريَّة عند عددٍ من الفلاسفة:

- الفلسفة اليونانية: السوفسطائيون، سقراط، أفلاطون، أرسطو.
- فلسفة العصر الوسيط: أوغسطين، المعتزلة، ابن باجة.
- الفلسفة الغربية الحديثة: جوردانو برونو، هيغل، ماركس.

٣. يستنتجَ أهميّة اختلافِ الآراء حول الحُريَّة.

فلسفة الحُريَّة

قضيّة للمناقشة:

"ثمَّةَ علاقةٌ وثيقة بين المعرفة والحُريَّة، فقد ارتبط تطوّر مفهوم الحُريَّة عند الإنسان بتطوّر معرفته وتقدّم وعيه؛ لذلك فالحُريَّة معرفة بالقدر نفسه الذي تكون فيه المعرفة حريّة. و يُعَدُّ مفهوم الحُريَّة من أكثر المفهومات صعوبة؛ بسبب تعدّد دلالاتها واختلاف الآراء حولها، ممّا أدّى إلى عدم وجود اتفاق نهائيّ بصددها".

ناقش زملاءَك في الأسئلة الآتية:

١- هل الشعور بالحُريَّة ثابتٌ أم متغيّر؟ ولماذا؟

٢- أعط مثلاً يبيّن كيف تؤثر معرفتنا في حريّتنا؟

٣- أعط تعريفاً للحريّة كما تعتقد أنّك تمارسها.

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- مفهوم الحُريَّة في الفلسفة اليونانية:

١- الحُريَّة عند السوفسطائيّين:

أكَّد السوفسطائيون عموماً فكرة الفرديَّة، وعدّوها المجال الذي تتحقّق من خلاله شخصيّة الإنسان، الذي يقول عنه **بروتاغوراس:** إنَّه مقياس كلّ شيء، وعلى هذا الأساس نزعَ السوفسطائيون نزعةً إنسانيَّةً تُعطي الأولويّة للإنسان على سائر الموجودات الأخرى، وانطلاقاً منها وضعوا تفرقةً أساسيَّةً بين "الطبيعة" و"القانون"؛ إلا أنَّهم انقسموا في تحديد معنى هذه التفرقة إلى اتجاهين:

الاتّجاه الأول: يمثّله **بروتاغوراس** الذي رأى أنّ الإنسانيّة انتقلت من الحالة الطبيعيَّة البدائية إلى الحضارة عن طريق القوانين التي نظَّمت حياة البشر عبر العصور في المجالات كافةً، ذلك لأنَّ القانون يكبح جماح الحُريَّة الفرديَّة في شكلها البدائيّ، ويجعل الإنسان ملزماً في سلوكه بما يتفق مع معايير العقل، لأنّ الالتزام بها والخضوع لها يضمنان مصلحة المجتمع وأمنه.

الاتجاه الثاني: يمثّله **هبياس** الذي يعتقد أنَّه ينبغي أن يتفق سلوكُ الإنسان مع تلقائيّته الفطريّة التي منحته إياها الطبيعة، أمّا القانون فهو قيد يحول بين الإنسان وحريته، لأنَّه من وضع أشخاص يبتغون منه سلب الأقوياء حريّاتهم من أجل مساواتهم بالضعفاء.

- هل تؤيّد شكل الحُريَّة عند بروتاغوراس أم هبياس؟ ولماذا؟

٢-الحُريَّة عند سقراط:

فهمَ سقراط الحُريَّة فهماً أخلاقيَّاً، فحدَّدها بأنَّها "**فعل الأفضل**"، لذلك تتحقَّق حريّة الإنسان عندما يقوم بتنفيذ الأفضل من بين مجموعة الأفعال المتاحة له؛ لكن ليس بوسع الإنسان أن يكون حرّاً (أي أن يفعل "الأفضل")، إذا لم يُكن يمتلك معرفة واضحةً بما هو أفضل، لذلك كانت المعرفة في نظر سقراط "**فضيلةً**" أي "**خيراً**"، ومَنْ يَعْرفُ الخير لا بدَّ أن يفعلهُ، إذ لا يوجد شيء آخر أفضل منه، فهو أسمى الغايات التي إذا بلغها الإنسان تحققت حريتّه الحقيقيّة.

أمّا الشر والرذيلة فإنّ الإنسان لا يفعلهما مختاراً، وإنما بسبب الجهل، فالجهل هو الذي ينفي إمكان اختيار الأفضل، ما يعني انتفاء الحُريَّة.

٣- الحُريَّة عند أفلاطون:

ارتبط مفهوم الحُريَّة عند أفلاطون بالحُريَّة المدنيّة التي يلتزم فيها كلّ فرد بعمله المخصّص له في المدينة، فوزّع المواطنين في المجتمع ثلاث فئات، ومنحهم حريّاتٍ متفاوتةٍ تتناسب مع طبيعتهم البشريّة، وذلك على النحو الآتي:

أ- **فئة الحرفيّين والمزارعين:** تشمل هذه الطبقة غالبية أفراد المجتمع، وينحصر عملهم في **مزاولة المهن المرتبطة بالعمل الجسديّ**، لكنّهم غير قادرين بحسب طبيعتهم على مزاولة العمل الفكريّ أو العسكريّ، ويتمتّع أفراد هذه الطبقة بالحُريَّة الاقتصاديّة وحريّة التملّك، لكنّهم ممنوعون من ممارسة الحُريَّة السياسيّة والمشاركة في الشؤون العامة.

ب- **فئة الجنود والمحاربين:** تشمل هذه الطبقة الأفراد الذين يتصفون بالشجاعة والقوة البدنية، **وينحصر عملهم في الدفاع عن الدولة** وشنّ الحرب على الدول الأخرى، ولا يتمتّعون بحريّة التملك أو مزاولة المهن، كذلك لا يتمتّعون بالحُريَّة السياسيّة والمشاركة في الشؤون العامة.

ج- **فئة الحكّام**: تضمّ هذه الطبقة فئةً قليلة من المواطنين تتكّون من الفلاسفة والحكماء، **ويتحدّد عملها في ممارسة الشؤون العامة للدولة**، فيشرفون على سنّ التشريعات ووضع القوانين وتنفيذها، ويتمتّعون بالحُريَّة السياسية الكاملة، لكنّهم لا يتمتّعون بحرية التملّك ومزاولة الأعمال الاقتصاديّة الخاصة.

لم يؤمن أفلاطون بالحُريَّة المطلقة، ولا بالمساواة في ممارسة الحُريَّة، فأعطى كلّ فئة الحريّات التي تناسبها بحسب رأيه، ومنعها من حريّة ممارسة أعمال طبقة أخرى، لكنّه أكّد في المقابل أن تُمارس جميع الحريّات في ظلّ دستور الدولة وبحسب قوانينها.

كذلك فرض أفلاطون قيوداً شديدة على الشعراء والفنّانين والموسيقيّين، فمنعهم من مزاولة فنونهم بحريّة مطلقة، إذ يجب أن تخضع للشروط والقوانين التي يسنّها الحكّام والمربون في الدولة برأيه لكي تسهم في تحقيق العدالة التي تعني عند أفلاطون التزام كلّ فرد بفئته وإتقان عمله الذي خُصّص له.

- ما سلبيات نظريّة أفلاطون في الحُريَّة وما إيجابيّاتها؟

٤- الحُريَّة عند أرسطو:

يتفق أرسطو مع أفلاطون في أنّ الحُريَّة لا تتحقّق إلا في المجتمع المنظّم والخاضع للدستور والقانون، ولكنّه لم يتبّع التقسيم الأفلاطونيّ لفئات المجتمع، ولم يُحدّد مجالات الحُريَّة بين المواطنين المتساوين في الحقوق والمسؤوليّات.

والإنسان الحرّ عند أرسطو هو المواطن القادر على أن يختار بين الأفعال الممكنة فعلاً إراديّاً غير ناجم عن قسر خارجيّ، ويكون اختياره للفعل بناءً على معرفة عقليّة واضحة به، وقد اتخذت الحُريَّة عنده شكلين اثنين، هما:

أ- **حريّة الأفراد** في اختيار حياتهم وعيشها كما يحبّون، من دون أن تتدخل الدولة في تحديد عملهم أو شكل حياتهم.

ب- **حريّة المواطنين** في المشاركة في المناصب العامّة في الدولة، وفي وضع الدستور والقانون عبر الحوار والتعبير عن الرأي والتشاور العام.

ويتّضح أنّ أفلاطون وأرسطو قد ركّزا على الفهم السياسيّ للحريّة، وناقشاها ضمن إطار التطبيق العمليّ وتنظيم المشاركة في الشؤون العامة في الدولة.

- كيف اتفق أفلاطون وأرسطو في فهم الحُريَّة؟ وأين اختلفا؟

ثانياً- مفهوم الحُريَّة في فلسفة العصر الوسيط:

١- الحُريَّة عند القدّيس أوغسطين:

عالج القدّيس أوغسطين مسألة الحُريَّة من خلال تحليله حريَّةَ الإرادة الإنسانيّة، وعَرَّفها بأنَّها "القدرة على قبولِ تصوُّرٍ ما أو رفضهِ"، وهذا يعني أنَّه عندما تحضر في ذهن الإنسان فكرةٌ معيَّنةٌ تحثُّهُ على القيام بتصرُّفٍ ما، فإنَّ بإمكانهِ من حيث هو **حرُّ الإرادةِ** أن يقبلها فيعمل بمقتضاها أو يرفضها فلا يطّبقها عمليّاً.

ولا يسلِّم بأنَّ الحُريَّة قدرةٌ على الاختيار بين الخير والشر؛ لأنَّ الإنسان عندما يختار فعل الشر، فهذا دليل على نقص في تفكيره وليس دليلاً على حريتّه، وأهمّ ما يثبت وجود الحُريَّة هو شعور الإنسان بأنَّه **يمتلك إرادة توجّهه** إلى أن يريد أو ألا يريد.

- حدّد معنى حريّة الإرادة عند القديس أوغسطين.

٢- الحُريَّة عند المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أنّ الحُريَّة مسؤوليّة الإنسان عن اختيار أفعاله التي سوف يُحاسب عليها أمام الله، ولأن الله عادلٌ فإنّه يعاقب المخطئ على خطئه، ويكافئ المصيب على صوابه، ولو لم يكن الإنسان حرّاً لما عاقبه الله أو كافأه، لذلك أنكرت المعتزلة أن يكون الإنسان مجبراً على أفعاله، بل هو حرّ في القيام بالفعل أو الإحجام عنه، أمّا معرفة الصواب من الخطأ فتكون بوساطة العقل الذي منحه الله إياه، وبه فضلّه على غيره من الكائنات.

- كيف أثبت المعتزلة حريّة الإنسان؟

٣- الحُريَّة عند ابن باجة:

انطلق ابن باجة في تأكيده الحريّة الإنسانيّة من أنّ الإنسان يمتاز من جميع الكائنات بالقوة الفكريَّة أي العقل، ولولا العقل لما كان الإنسان حُرَّاً، فالمعرفة العقلية هي أساس الشعور بالحُريَّة، والقيام بالأفعال الدالة عليها، ووضَّحَ ذلك من خلال تقسيمه الأفعال ثلاثة أصناف:

١- **أفعال قسريَّة** لا اختيار للإنسان فيها، لأنها تحدث بفعل عوامل قاهرة لا سبيل إلى اجتنابها، مثل السقوط من مكان مرتفع، والاحتراق بالنار.إلخ.

٢- **أفعال ضروريّة** لا اختيار للإنسان فيها بتاتاً، لأنّها من أصل طبيعته كالإبصار والتذوّق، أي الإحساس عموماً.

٣- **أفعال اختياريَّة** يقوم بها الإنسان عن إرادة واعية، وهذه الأفعال هي التي تميّزه بوصفه كائناً عاقلاً، كذلك هي التي تدلّ على حريّته؛ لأنَّه يقوم بها فاعلاً مختاراً.

- أعط مثالاً عن بعض الأفعال الاختياريَّة وفقاً لمنظور ابن باجة.

ثالثاً- الحُريَّة في الفلسفة الحديثة:

١- الحُريَّة عند جوردانو برونو:

رفض برونو كلَّ الآراءِ التي تقيّد حريّة الإنسانِ، وأراد تحريره من أيّةِ سلطة تسلبه حقَّه في التفكير، وكانت وسيلته في ذلك هي **تبيان أهميّة فهم الإنسان للكون وموقعه فيه**، من أجل تحقيق شعوره بحريته، وهذا يكون عن طريق إثبات لا نهائيّة طبيعة الكون المؤلَّف من دروب ومجرَّات فلكّية لا حصر لها، والإنسان نفسه يجب أن يُفهم على أنَّه جزء من هذه الطبيعة ذاتها لا ينفصل عنها، لذلك عندما يكتشف الإنسان غنى الكون وتنوُّعَهُ، فإنّه في الحقيقة يكتشف حريتّه المستمدّة من لا نهائية الكون، لأنَّه هو نفسه جزء من هذه اللانهائية التي تُحَفِّزُ لديه الشعور بالحُريَّة.

- ماذا تعني الحُريَّة عند برونو؟

٢- الحُريَّة عند هيغل:

اعتقد هيغل أنّ **النفس** (أو الروح) لا تحصل على حريتّها دفعةً واحدة وبشكل مباشر، بل عبر مراحل طويلةٍ يعبّر عنها **تطوّر العقل في التاريخ**، حتى تصل الروح إلى إدراك هويّتها والشعور بوحدتها، وشعور الروح بوحدتها هو ينبوع حريّتها.

وتتسم الذات الإنسانيّة بوحدتها واستقلاليّتها عبر **العقل والإرادة**، غير أن هذه الاستقلالية ليست مطلقة، لأن الإنسان يعيش في الواقع مع أفراد آخرين يمثّل كلٌّ منهم ذاتاً مستقلّة متفردة، فتنشأ بينهم جميعاً منظومةٌ من الحقوق والواجبات التي تشكّل الأخلاق الموضوعيّة في المجتمع.

ولكي يقوم الإنسان بضبط فردانيتّه ومنفعته الأنانية، لا بد من وجود الدولة التي يعدّها هيغل الكائن الاجتماعيّ الأكبر، فالدولة هي التي تفرض القانون، وفيها يستطيع الإنسان الوصول إلى حرّيته الحقيقية عبر المشاركة في الروح الجماعيّة التي تمثّلها الدولة.

- متى يكون الإنسان حرّاً عند هيغل؟

٣- الحُريَّة عند ماركس:

يبيّن ماركس معنى الحُريَّة على أساس علاقتها **بالضرورة**، ويعني بالضرورة القوانين غير المدركة التي تتحكّم بالطبيعة والمجتمع، ففي بداية تاريخ الإنسان كان غير قادر على فهم أسرار الطبيعة، لذلك ظلَّ أسير الضرورة المجهولة، وكان لا يشعر بحريتّه، لاعتقاده بأنَّه خاضع لقوى عمياء، لكن كلما ازداد الإنسان تطوُّراً استطاع أن يدرك الضرورة على أنّها قوانين موضوعيَّة تتحكم بالظواهر الطبيعية والاجتماعية، ومن ثمّ ازداد حُريَّةً ووعياً.

من هنا دعا ماركس إلى عدم رضوخ الإنسان لقوى الطبيعة الخفيّة، أو القوى الاجتماعية المفروضة عليه **قسراً**، وذلك من أجل بلوغ حرّيته، عبر الوعي الذي يزيل الفروق الطبقية بين الناس ويحرّرهم من القهر الاجتماعيّ، وعليه، الحُريَّة عند ماركس تعني وعي الضرورة طبيعيّاً واجتماعيّاً.

- ما شرط بلوغ الحُريَّة عند ماركس؟

أسئلةُ التَّقويمِ و المناقشةِ:

أولاً– علّل كّلاً ممّا يأتي:

١- ربط سقراط الحُريَّة بالمعرفة.

٢- لا يسلّم القديس أوغسطين بأن الحُريَّة هي قدرةٌ على الاختيار بين الخير والشرّ.

٣- الأفعال الضروريّة عند ابن باجة لا اختيار للإنسان فيها بتاتاً.

٤- لا يمكن تحقيق الحُريَّة الفرديّة عند هيغل إلا في وجود الدولة.

ثانياً– أجب عن الأسئلة الآتية:

١- كيف ربط السفسطائيون بين الحُريَّة والقانون؟

٢- وضّح كيف عالج القديس أوغسطين مسألة الحُريَّة من خلال تحليل لحرية الإرادة الإنسانية.

٣- اشرح كيف تتأسّس الحُريَّة عند المعتزلة على فكرة العدل الإلهيّ.

٤- اشرح مفهوم الحُريَّة وأنواع الفعل عند ابن باجة.

ثالثاً– الموضوع:

اتفق كلّ من أفلاطون وأرسطو على وجوب تنظيم الحُريَّة في ظلّ الدولة والقانون، لكنّهما اختلفا في طريقة تطبيقها، ناقش هذا الموضوع وبيّن رأيك.

المراجعُ:

–ابن باجة. (١٩٦٨). *رسائل ابن باجة الإلهية*. تحقيق ماجد فخري. بيروت: دار النهار.

–بدوي، عبد الرحمن.(١٩٨٤). موسوعة الفلسفة. بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر.

–بلوخ، أرنست. (١٩٨٠). فلسفة عصر النهضة. ترجمة الياس مرقص. بيروت: دار الحقيقة.

–كرم، يوسف. (١٩٤٦). تاريخ الفلسفة الأوروبيّة في العصر الوسيط. القاهرة: دار الكاتب المصري.

الحُريَّة الدَّاخليَّة

(العقل والإرادة والوجدان)

الأهداف التعليميّة:

يُتوقّعُ من الطالبِ بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١. يعرفَ معنى العقل ودلالاته.

٢. يميّز بين الضرورة الطبيعيّة والضرورة العقلية.

٣. يستنتج الحدود العقليّة للحريّة الإنسانيّة.

٤. يستخلص معنى الإرادة.

٥. يستنتج أثر العقل في توجيه الإرادة الإنسانيّة.

٦. يحدّد معنى الوجدان ووظيفته.

٧. يفسّر علاقة الوعي الوجداني بالحريّة الداخليّة.

٨. يشرح بعض الحالات الوجدانية وعلاقتها بالحريّة.

الحُريَّة الدَّاخليَّة

(العقل والإرادة والوجدان)

قولان للمناقشة

يقول جان بول سارتر: «الإنسان حرّ، ومحكوم عليه أن يكون حرّاً؛ لأنّه ومنذ أن يعي وجوده في العالم، يختار أفعاله، يكون مسؤولاً عن كل ما يفعله».

ويقول يوسف كرم: «الدَّليل المباشر على وجودِ الحُريَّةِ هو شهادةُ الوِجْدان، هذه الشهادة واضحةٌ كلَّ الوضوح، فلا تُسمَّى في الحقيقة دليلاً أو برهاناً، إنما هي تجربةٌ ومُشاهدة».

ناقش زملاءَك في الأسئلة الآتية:

١. كيف ترتبط الحريّة بالمسؤولية؟
٢. هل من الحريّة أن يختار الإنسان ألا يكون حرّاً؟ ولماذا؟
٣. هل يمكن إقامة البرهان على وجود الحرّية في رأيك؟

في ضوء الأسئلةِ السَّابقةِ سنناقش الآتي:

أولاً- معنى العقل وعلاقته بالحرية:

١- تعريف العقل:

للعقل في **اللغة العربية** معان متعددةٌ، لذلك تعدّدت مرادفاته، فقال العرب العقل هو **الحِجَى**، لإصابة **الحُجَّة** به والاستظهار على جميع المعاني، وسُمّي **الحِجْر**: لحَجْره عن ركوب المناهي، وهو **النُّهَى**: لانتهاء الذكاء والمعرفة والنظر إليه وهو نهاية ما يُمنح الإنسان من الخير المؤدي إلى صلاح الوجود كلّه.

ويُقصد بالعقل **اصطلاحاً** مجموع الوظائف النفسيّة والذهنيّة المتعلقة بتحصيل المعرفة، كالإدراك والذاكرة والتخيّل والحكم والاستدلال وغيرها، ويحتوي على مجموع المبادئ والقوانين المنظمّة للمعرفة، كقانون الهويّة وقانون عدم التناقض وقانون العلية.

يُقْسَمُ العقل إلى قسمين:

أ- **عقل نظريّ**: ينصبُّ على المعرفة في أوسع معانيها، وبه **يُحَصِّل** الإنسان المعرفة النظريَّة، التي هي نتيجة الاتصال بين الذات الإنسانية المُدرِكة والموضوع المُدْرَك.

ب- **عقل عمليٌّ:** يَنْصَبُّ على الأخلاق والجمال في جانبهما القيمي، وبه **يُميّز** الإنسان بين الخير والشرّ، والجميل والقبيح، فيهتدي إلى قواعد **السلوك** كما ينبغي أن يكون.

إنَّ تكاملَ العقلِ بقسميه النظريِّ والعمليِّ يميِّز الإنسان بوصفه موجوداً استطاع أن يتطوّر من حالته الغريزيَّة الأولى، إلى مستوى من الرُّقي الحضاريِّ الذي تحدِّده المعايير العقليَّة والأخلاقيَّة والجماليّة.

- بيِّن معنى العقل واستخداماته.

٢- الحريَّة بين الضرورة الطبيعيّة والضرورة العقليَّة:

أ- الضرورة الطبيعيَّة:

يُقصدُ بالضرورة الطبيعيَّة سلوك الكائن الحيّ وفقاً لما تقتضيه طبيعته وحدها، لأنَّه لا يستطيع أن يكون بخلاف ذلك، وهذا ما نلاحظه عند الحيوانات التي تندفع بغرائزها نحو إشباع **حاجاتها الحيَّويّة** البحتة، ولا تستطيع مقاومة **دوافعها الغريزيَّة** التي توجّه أفعالها تبعاً لطبيعتها، كأن تتغذَّى أو تفترس وتتكاثر، ومن هنا تُعَدُّ هذه الحيوانات محكومةً لطبيعتها، ولا تتصف أفعالها بالحريّة أو الإجبار، لأنّها ممارسةٌ طبيعية تفتقد إلى أيَّ أساسٍ عقليّ.

ب- الضرورة العقليَّة:

يتضح معنى الضرورة العقليَّة من خلال **التزام الإنسان بالأفعال والتصرّفات التي تتحدّد بمقتضى العقل**، وإلا خرجَ من حيّز الإنسانيَّة إلى حيّز الحيوانيَّة. فالعقل يوجب على الإنسان أن يتحكَّم بأفعاله ويوجِّهها بما يتناسب مع المعايير التي تُحدِّد نماذج السلوك، وقواعد العمل السديد، وهذا لا يتناقض مع الحريَّة الإنسانية، بل يؤكِّد الأساس العقليَّ لها، الذي يكشف حقيقتها ويعيّن حدودها.

- هل الإنسان حرٌّ أمام ضروراته الطبيعية؟ولماذا؟

ثانياً- الحدود العقلية للحُريَّة الإنسانيَّة:

يدرك الإنسان أنَّه **حُرٌّ داخلياً** ، ولا يقبلُ أن تُملى عليه تصرُّفاته من أيِّ مصدرٍ خارجيّ من دونِ قناعةٍ منه، لأنَّه يعي حُريتّه، ويشعُر بها، ويمارسها من خلال تنفيذه أفعاله الدَّالةَ عليها، وتتعزَّزُ **حُريتّه الذاتيَّة** كلّما وجد مجالاتٍ أوسع لتحقيقها.

لكنّ الحريَّة لا تكون بحسب الهوى، ولا أن يفعل كُلُّ إنسان كما يشتهي أو يرغب، فمثلاً إذا أطلق شخصٌ ما سواءٌ أكان رجلاً أم امرأة العنان لحريتّه الجنسيّة من دون أيِّ رادعٍ

أخلاقيّ، فإنَّ هذا سوف يؤدّي إلى إفساد المجتمع وتهديم قيمهِ والإضرار به، لذلك يجب ألا تكونَ غرائز الإنسان واندفاعاته هي ما يوجّهه للقيام بأفعاله من دون قيد أو شرط، بل ينبغي عليه أن يضع حدوداً لحرّيته، لأنّ العقل يستلزم منه الوعي والمسؤولية في كلّ ما يفعل.

وعلى هذا الأساس، لا يجوز لأيِّ إنسان أن يبيح لنفسه كلَّ شيء بحجّة أنّ من حقِّه أن يفعل ما يشاءَ، ويقول ما يرغب فيه، ويبدي من الآراء ما يحلو له باسم الحريّة، فلا توجد حريّة مطلقة، لأنّ السلوك الإنسانيّ يجب أن يبقى مقيّداً بمعايير العقل ونظام المجتمع وحقوق الآخرين؛ لذلك على الإنسان أن يُخضِعَ حرّيته لقوّة إرادته وفقاً لإرشادات العقل.

- لماذا يجب تحديد الحرّية في إطار العقل؟

ثالثاً– معنى الإرادة وإمكان تحكُّم الإنسان بها:

١- تعريف الإرادة:

الإرادة هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه، وهي قوّة مركّبة من الرغبة والحاجة والوعي، وتختلف الإرادة عن الاختيار بأنها ميل إلى الفعل، أمّا الاختيار فهو فعل مع التفضيل والإمكان.

٢- الفعل الإرادّي:

يتّضح الفعل الإرادي من خلال ما يقوم به الإنسان من العمليّات العقليّة والنفسيَّة الآتية:

أ- أن يَقْدِرَ الإنسان على تصوّر الفعل الذي يعزم على القيام به، بأن يدرك بصورة مسبقة كيفية تحقيقه.

ب- أن يتخذ قراراً داخليّاً مؤقّتاً بأنَّه يميل إلى إنجاز هذا الفعل، وكون القرار مؤقتاً يعود إلى أن الإنسان لا بدّ أن يمرّ بمرحلة من التفكير بجدوى قيامه بالفعل.

ج- أن يبحث في الأسباب التي تدعوه إلى إنجاز الفعل، وفي الأسباب التي تدعوه لعدم إنجازه، ويفاضل بينهما بشكل دقيق.

د- أن ينتهي إلى الاقتناع بتنفيذ الفعل أو عدم تنفيذه، ممتلكاً التصميم الحقيقيّ على ما انتهى إليه.

- أعط مثالاً على فعل تريد القيام به مطبقاً العمليّات الفكريّة السابقة عليه.

٣ - توجيه العقل لحريَّة الإرادة الإنسانية:

تتحقّق ذاتٌ الإنسان من خلال قدرته على الفعل بمقتضى العقل وحده، من دون تأثُّر بالنزوات والشهوات والرغبات الأنانية، وهذا يعني أنَّه ينبغي على الإنسان عندما يقوم بأفعاله، أن يضعَ لنفسه **قانوناً أخلاقّياً** يلتزم به، بحيث يكونُ في صالح الناس جميعاً، فيصبح الإنسان بذلك قُدوةً لغيره، وتكون حريّته نتاج الارتباط بين إرادته الحرة وقانونه الأخلاقيّ الذي يفرضه العقل.

ويُلاحَظ أنَّ هذا القانون الأخلاقي ليس مفروضاً على الإرادة من خارجها، بل صادرٌ عن الإرادة نفسها عندما تصبح واعية نتيجة توجيه العقل لها، وعندما يقدم الجنديّ الشجاع في المعركة على التضحية بحياته في سبيل وطنه، ولا يذعن لمشاعره الأنانية، فإنه يعبِّر عن إرادته الحرة، جاعلاً تصرّفه هذا قاعدةً عامّة لكلّ رفاقه، لأنَّه لم يفعل ذلك مرغماً أو مكرهاً، لكن بناءً على قناعة ذاتيَّة شرّعها له عقله، هي (التضحية في سبيل الوطن).

- هل يلغي عقل الإنسان إرادته الحرّة؟

رابعاً- الحرّية الداخليّة وعلاقتها بالحالات الوجدانيّة:

١- تعريف الوجدان ووظيفته:

يعرّف الوجدان بأنهُ **قوّةٌ باطنةٌ** في الإنسان تُمكِّنه من أن **يَحْدَسَ** بصورةٍ داخليَّةٍ المضامين المختلفة لحالاته النفسيّةِ التي تتعلّق بتجاربهِ أو خبراتهِ الشّعوريَّة، والتي تؤثر في مواقفه الحياتيَّة عامةً.

ويستطيع الإنسانُ بفعل الوجْدان أن يعي حالاته الشعوريَّةَ الداخليَّة، التي لا يمكن له إدراكُها عبر الحواس أو التفكير العقليّ أو التجارب العلميّة، لأنَّ هذه الحالات عبارة عن **كيفيّات نفسيَّة** ليس لها وجودٌ ماديّ، ولا تخضع للمقاييس الكميّة مثل الحجم والوزن. والوجدان هو الذي يمكّن الإنسان من أن يعي هذه الكيفيات؛ فالأمل مثلاً أو التضحية حالاتٌ وجدانية لا تدرك حسيّاً ولا تفهم منطقيّاً وغير قابلة لأيّ قياس كميّ.

- اذكر حالة شعوريَّة أخرى يمكن أن تعيها وجدانياً.

٢- الوعي الوجدانيّ بالحريّة:

يُعَدُّ وعيُ الإنسانِ الوجدانيُّ بحريتّه الداخلية من أهم مرتكزات وجوده، فيه يدرك أنَّه يمتلك ذاتاً مستقلة عن الذوات الأخرى، لها مشاعرها المتميّزة، وتدخل في تكوينها حالاتٌ شعوريَّةٌ مختلفة (انفعالات ، عواطف، رغبات...) تؤلّف وحدةً متكاملة. وكلما ازداد الإنسان وعياً بخصوصيّة وجوده الذاتيّ، عَرفَ أنه حُرٌّ من داخله حريّةً كاملة ودائمة، ولا يمكن لأية قوّة قاهرة أن تسلبه هذه الحريَّة.

وتظهر حرّية الإنسان الداخلّية من خلال حالات شعوريّة وجدانيّة متنوِّعة، تضفي على شخصيَّته طابعاً معيناً، لذلك فهو حرٌّ في أن يرغب بشيء، وينفر من شيء آخر، من دون أن يلزمه أحدٌ بذلك.

وتُعَدُّ الحالاتُ الوجدانيةُ **أساساً** لقدرة الإنسان على القيام بأفعاله الحرّة وتنظيمها، لأنَّ فقدان شعوره بهذه الحالات سوف يسلبه وعيه حريته، بالمقابل فإنّ عدم سيطرته عليها يؤدّي إلى أن تصبح حريته هوجاء لا تخضع لأيّة حدود أو ضوابط.

- بيّن أهميّة الوعي الداخليّ بالحريّة الوجدانيّة.

٣- الحالات الوجدانيّة:

سوف نتناول بالتحليل عدداً من هذه الحالات الوجدانيّة الأساسيّة:

أ- المزَاجُ:

هو جُملةُ السِّماتِ العامةِ، التي يتميَّزُ بها التكوينُ العضويُّ والنفسيُّ للفرد، ويشكّل جانباً مهّماً من جوانب الشخصيّة الإنسانيَّة، ومن أشكاله المنبسطُ والمنطوي والسوداويُّ والتفاؤليُّ.

ولهذه السِّمات أنفسها أهميَّةٌ كُبرى في تحديد طبيعة انفعالات الفرد وشدّتها، سواء من جهةِ كون الإنسان قليل الانفعالات أو كثيرها، أو من جهة طولِ مُدَّة التأثُّر الانفعالي أو قصرَِها؛ لذلك تتأثّر الحريّة الداخليّة للإنسان وتتحدَّدُ وفقاً لطبيعته المزاجيَّة، التي تؤثّر في سلوكاته ومواقفه الحياتيّة.

- اشرح معنى المزاج وعلاقته بالحرية.

ب-**العاطفة:**

العاطفة هي **تـهيّؤ الإنسان شُعوريّاً** للتفاعل مع تجربة وِجْدَانيَّة خاصَّة، بحيث يسلك سلوكاً مُعيَّناً، أو يتخذَ موقفاً محدَّداً تجاه شخص أو جماعة أو مبدأ أخلاقيّ أو فكرة مُجرَّدة.

وقد تبقى العاطفة مُستقرّةً داخِلَ شُعورِ الإنسان من دون أن تتحقَّقَ في العالمِ الخارجيِّ، لأسباب قد تكونَ **ذاتيَّةً** ناجمةً عن إرادة الإنسان التي تتَّجهُ نحو كتمانها، أو **موضوعيَّةً** ناجمةً عن ظروفٍ قاهرةٍ، وقد يتعرّض الإنسان غير القادر على التعبيرِ الحرِّ عن عواطفه لأزمات نفسية وانفعالية، بالمقابل، إنَّ الإنسانَ عندما يُعبِّرُ عن عواطفه بحرّية مطلقة من دون إخضاعها لمعايير العقل، فلا بدَّ في نهاية المطاف أن يُلحِقَ الأذيَّةَ بنفسهِ وبالآخرين.

وعليه، ينبغي على الإنسان أن يعبّر عن عواطفه بشكل حُرّ ومنسجم مع المعايير العقلية والأخلاقيَّة والاجتماعيَّة.

- بيّن أثر العاطفة في التعبير عن الحرية.

ج- **الرَّغبةُ:**

الرغبة حالةٌ **شعوريَّةٌ واعيةٌ** يكونُ فيها الإنسانُ، في وضعٍ نفسيٍّ يستدعي تحقيقَ مَطْلَبٍ مُعيَّن، وتختلفُ الرَّغبةُ عن الشَّهوةِ في أنّ **الرَّغبةَ** تكون موجَّهةً بوساطة الوعي، بينما تخضع **الشَّهوةُ** للانفعالاتِ الغريزيَّةِ.

ومع أنّ وعي الإنسان يتدخّل في توجيه رغباته، إلاّ أنَّها كثيراً ما تتعلَّق بالأشياء الماديَّة الممتعة، مثل المال والجاه والمِلْكيَّة... إلخ. ولهذا نجد أناساً يقضون حياتهم في السعي وراء إحراز منافعَ ماديَّةٍ تلبي رغباتهم بحجّة أنّها تتعلَّقُ بحُريَّاتهم الشخصيَّة، من دون أن يكترثوا بأن تكون تلبيةَ هذه الرَّغباتِ ليست على حساب الآخرين، وغير مضرّة بهم.

وعليه، لا يمكن أن تكون الرغبات حرّةً بلا قيود، فينبغي على الإنسان أن يُوجِّه رغباته بمقتضى معيارٍ قيميٍّ أساسيٍّ يميز بين الخيرِ والشرّ، ومن ثمّ يربط رغبتهُ دائماً بقيمةِ الخير بحيث يختار ما هو مناسب وبصورة سليمة.

بناءً على ما سبق نستنتج أنَّ العالم الداخليّ للإنسان غنيّ جداً، يتعرّف فيه حرّيتَهُ في جانبها الوجْداني، وهو يحقّق هذه الحريَّة بأعمق معانيها عندما يستند إلى إرادته التي يوجِّهها وفقاً لمعايير العقل.

- متى يحقّ للإنسان تحقيق رغباته؟

أسئلةُ التَّقويمِ و المناقشة:

أولاً- علل كلّاً ممّا يأتي:

١- ليس هناك حرّيّة مُطلقة.

٢- لا يمكن إدراكُ الحالات الشعوريّة عبر الحواسّ أو العقل.

٣- الحالات الوجدانيّة أساس لقدرة الإنسان على القيام بأفعاله الحرّة وتنظيمها.

٤- قد تبقى العاطفة مستقرّة داخل شعور الإنسان ولا تتحقّق في العالم الخارجيّ.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- قارن بين الضرورة الطبيعيّة والضرورة العقليّة.

٢- ما العمليّات العقليّة والنفسيّة التي يتوضّح فيها معنى الإرادة عند الإنسان؟

٣- يُعَدُّ العقل موجِّهاً لحرية الإرادة الإنسانية. ناقش ذلك وبين رأيك.

ثالثاً- الموضوع:

تؤثّر الحالاتُ الوجدانيّة في وعي الإنسان حريّته الداخليّة وتنظيمها، ناقش هذا الموضوع من خلال اختيار حالتين من الحالات الوجدانيّة.وبيِّن رأيك.

المراجعُ:

- ديكارت، رينه .(١٩٦٥). التأمُّلات في الفلسفة الأولى. ترجمة عثمان أمين. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
- كانت، أمانويل. (٢٠٠٢): تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. ترجمة عبد الغفار مكاوي. ألمانيا: منشورات الجمل.
- برلين، أشعيا. (١٩٨٠). أربع مقالات في الحرية. ترجمة عبد الكريم محفوظ. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الحرّية والمجتمع

الأهداف التعليميّة:

يتوقّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١. يوضّح الفرق بين مفهوم الحريّة الطبيعيّة والحريّة المدنيّة.

٢. يشرح أثر القانون في ممارسة الحريّة.

٣. يستنتج التوفيق بين الشعور بالحريّة والالتزام بالقوانين في إطار الدولة.

٤. يثمّن حريّته من حيث إنّها مسؤوليّة، وحريّة الآخرين من حيث إنّها اعترافٌ بالحقوق.

الحريـــّة والمجتمـــع

قضيّة للمناقشة:

الحريّة في جوهرها الفلسفيّ واحدة، ربّما يصحّ أن نقول إنّها مجرّد نفي سيطرة الآخرين، ويستطيع القانون والدستور والتشريع أن ينصّ على حريّة الإنسان، وفي هذا النص يتساوى الناس؛ فلا توجد حريّة أكثر أو أقلّ من حريّة أخرى، على مستوى النص أو التشريع أو القانون، لكنّنا حين ننزل إلى الواقع التطبيقيّ نجد أنّ الحرية ليست واحدة في درجاتها؛ إنها في تحقّقها الفعليّ متعدّدة، إذ ثمة درجاتٌ شتّى للحريّة الفعليّة.

(من المقدمـــة العربية لمقال كارل بوبر: "في الحرية والديموقراطية")

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- ما الإشكاليّة التي تناولتها القضيّة المطروحة للمناقشة؟

٢- هل تختلف الحريّة بين المثال والواقع؟ أو بين واقع وآخر؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- من الحريّة الطبيعيّة إلى الحريّة المدنيّة:

تميل الطبيعة البشريّة بالفطرة إلى فعل ما تريد **بعيداً عن الخضوع** لأيّة سلطة أو أي قانون، ولقد كان هذا متحقّقاً بدرجة كبيرة في المرحلة **البدائيَّة الطبيعيّة** التي لم يكن الفرد فيها خاضعاً للقوانين، وكان قادراً على تلبية رغباته وحاجاته الأساسيّة بشكل منسجم مع الطبيعة من حوله، من دون أن يضرّ بقية الأفراد الذين يتشاركون معه.

ولكن مع بدء تشكّل أولى **التنظيمات الاجتماعيّة**، كان لا بدّ من ظهور نمط جديد من العلاقات، خاصّة التي تنظّم علاقات الفرد مع الآخرين من حوله، بعدما أصبح وجودهم ضرورةً أساسيّة لا يمكن الاستغناء عنها، ومن هنا نشأ شكل جديد من التنظيم لم تعد الحرية فيه مقتصرةً على حرية كلّ فرد **بمعزل عن الآخر**، ولم يعد الإنسان حرّاً في القيام بأي فعلٍ لمجرد أنّ هذا الفعل يحقّق مصلحته، فكان لا بدّ من **إعادة تنظيم** حريّة الإنسان الطبيعيّة، والتخلّي عن جزء منها، مقابل **الانتماء للمجتمع** الذي لا غنى للفرد عنه في سبيل إشباع حاجاته وحفظ حياته واستمرار نوعه البشري.

ويُعدّ هذا الشكل الجديد للحريّة الأساس الأوليّ الذي قامت عليه **الحريّة المدنية** التي نعرفها اليوم، وهي الحريّة التي تتحقّق في **ظلّ مجتمع له قوانينه وأنظمته** التي تحكم العلاقات بين الناس، وفيها يعود الإنسان إلى تنظيم حرّيّته الفرديَّة وضبطها في أعرافٍ وقواعد عامّة، تخضع لقانون وضعيّ **متفق عليه من قبل الجميع**، فيتنازل كلّ فرد عن حرّيته الطبيعيّة مقابل **الحصول** على الحريّة المدنية، ويصبح فيه دفاع الإنسان عن حرية الجماعة **دفاعاً عن حريته الفردية** بصفته عضواً في هذه الجماعة، وقادرا على نيل حقوقه منها بالتزامن مع أداء واجباته نحوها.

- قارن بين الحرية الطبيعية والحرية المدنية.

ثانياً– الحرية والقانون:

تختلف الحرية في ظل القانون عنها في الحالة الطبيعية، خاصة وأن الهدف الأساسي من وجود القانون هو **القضاء على حالة العنف والتعدي** اللذين يحدثان نتيجة التعارض بين سلوك الأفراد **عند ممارسة حرياتهم بشكل طبيعي**. ولا يقوم القانون هنا بمصادرة الحريات وإلغائها، بل يعمل على **الحدّ من جموحها** نحو العنف، عبر فرض السلطة القادرة على **احتكار العقاب وتشريعه.**

ويمكنُ رصدُ العلاقة بين الحريّة والقانون من خلال محاور عدّة، أهمُّها:

١- يفرض وجود القانون مبدأ **العدالة** في منح الحرية وتحديدها في الوقت نفسه؛ لأنّ الإخلال بمبدأ العدالة، وزيادة حريّة فرد ما سوف يؤدّيان حتماً إلى **الانتقاص من حريّة آخر**، فتجاوز حدود حريّتي لا يكون إلا بالاعتداء على حريَّة غيري، وبناء على ذلك حُدّد المبدأ الشهير: **(تنتهي حرّيتك عندما تبدأ حريّة الآخرين).**

٢- يحقّق وجود القانون مبدأ **المساواة** بين الجميع، إذ هذه المساواة **حقّ الحريّة لجميع الأفراد**، يكون كلّ فرد قادراً على ممارسة حريّته **ضمن الحدود** التي تسمح بها قوانين المجتمع، ويصبح القانون هو **الأساس الناظم** لسلوك الناس وأفعالهم تجاه بعضهم.

٣- يستلزم كلٌّ من العدالة والمساواة مبدأ **مسؤوليّة** كلِّ إنسان عن أفعاله، فالمسؤوليّة هي الإطار الذي **يمنح للحريّة إيجابيّتها وفاعليّتها** في تطوير الحياة الإنسانيّة.

أمّا الإخلال بمبدأ المسؤولية فيؤدّي إلى **انحراف** السلوك الحرّ **وتعارضه** مع قيم الجماعة الإنسانية.

إنّ **الالتزام** بالقانون **والخضوع** له لا يتناقضان مع حقّ الإنسان في الحصول على حريَّته، فالقانون يُبنى على أساس **حقّ كلّ فرد في الحريّة بالقدر نفسه الذي يضمن حرية الجميع**، ولا يعني ذلك أنّ القانون يكرّس خضوع الإنسان لسلطته ويلغي حريته، وإنما يعيد **تحديد ماهيتها**، فلا يعود ثمَّة حريّةٌ مطلقة يستطيع فيها كلّ فرد فعلَ ما يريد وقت ما يريد وبالطريقة التي يرغب بها، من دون حسبان حقوق الآخرين وواجباته نحوهم.

- ما المبادئ الثلاثة التي تؤسّس للعلاقة بين الحريّة والقانون؟

ثالثاً- الحريّة والدولة:

نشأت الدولة عن حاجة الأفراد إلى تنظيم شؤونهم بهدف ضبط المجتمع المدني وتنظيمه، فالدولة **نظامٌ يتجه لضبط سلوك الأفراد وحماية سلامتهم وملكيّاتهم ووجودهم** بما يحفظ إنسانيَّتهم، إذ تضمّ الدولة جميع المؤسّسات التي **تنظّم حياة المواطنين** في المجتمع.

وتتحدّد مسؤولية الدولة تجاه حرية رعاياها من خلال المهمات الآتية:

١- **وضع القوانين وسنّ التشريعات والأنظمة** التي تقرّها الدولة عبر مؤسّساتها التشريعية المختلفة، بحيث تكون هذه القوانين والتشريعات ملبِّيةً حاجات المجتمع، وضامنةً **تحقيق حريّات أفراده** وحقوقهم في الحياة والعمل والسلم الأهلي.

٢- تقوم الدولة بمتابعة **تنفيذ وتطبيق** هذه القوانين والتشريعات والأنظمة التي تقرُّها مؤسساتها، وتكون **مسؤولةً أمام أفرادها** وضامنةً لعدم الإخلال بهذه القوانين والتشريعات، ومُكلّفة بتطبيق العقوبات على الأفراد الذين يخالفون القانون.

٣- توفّر الدولة لمواطنيها **المشاركة السياسيّة** الفاعلة في **شؤونهم العامة**، وتضمن حقوقهم في هذه المشاركة عبر تشريع **القوانين الناظمة للحريات العامة**، كالحريات السياسية: (مثل الترشح والانتخاب وتشكيل الأحزاب)، وحرية الإعلام والصحافة والتعبير عن الرأي.

وعليه، صارت الدولة جهازاً مؤسّساتياً يحقّق للأفراد **الأفق الذي يمكّنهم من ممارسة حريّاتهم** وتحويلها من قيم نظريّة إلى مجالات الفعل والتطبيق، لذلك لم يعد تطبيق الحريّات ممكناً إلا في **إطار الدولة** التي تمثّل الضامن الرئيس لحرية الجماعة بما لا يتعارض مع حرية

لّ فرد فيها، وهنا ينبغي التنبّه إلى أنّ حرية الجماعة **ليست مجموعاً حسابياً** للحريّات لفردية، بل هي **كيفيّة** متمايزة عنها، تُسهم في **تنظيم** العيش المشترك بين الأفراد **وتكفل ألا تعارض** حريّاتهم فيما بينها.

- هل الدولة شرط لتحقيق الحرية أم وسيلة؟

رابعاً– ضوابط الحريّة وحدودها:

ظلت الحريّة على مرّ التاريخ قضيّة **إشكاليّة**، اتفق الفلاسفة والمفكّرون حولها بوصفها يمةً عليا وحقّاً لكلّ إنسان، غير أنّه لا يمكن تحويل هذا **الاتفاق النظريّ** حول الحريّة إلى **تفاق عملي** في تطبيقها. وذلك لتباين **إرادات** الأفراد أولاً، وتباين **ثقافاتهم** وشروط حياتهم لاجتماعية ثانياً، وهذا ما أدّى إلى جعل تطبيق الحريّة مرهوناً بمجموعة من **الضوابط الحدود** التي تختلف بين فئة وأخرى، أو بين مجتمع وآخر؛ تبعاً لطبيعة هذه الفئات المجتمعات.

قد لا يكون ممكناً إحصاء جميع الضوابط والظروف التي تؤثر في الشكل الذي ينبغي عليه تطبيق الحرية في الواقع العملي المُشخّص، غير أنه يمكن تحديد **العوامل الرئيسة** التي ؤدي إلى **اختلاف المجتمعات وتباينها** في ممارسة الحرية وضبط حدودها، ومن أهم هذه لعوامل:

١- **العامل الأخلاقيّ:** تؤثّر القيم الأخلاقيّة في ضبط الحرية وتنظيم حدودها، إذ تعمل هذه القيم على وضع المعايير التي **يجب أن تحتكم إليها** أفعالنا وتصرّفاتنا، ويعود الالتزام بهذه لمعايير إلى **سلطة الضمير** التي يمارسها الإنسان على نفسه بمحض **إرادته الحرّة**، والتي تجعله يلزم نفسه القيام بالفعل أو الانصراف عنه.

٢- **العامل الديني:** يشتمل كلّ دين في جانبه العمليّ على مجموعة من **الأوامر والنواهي** التي يجب على الإنسان المؤمن الالتزام بها وتمثّلها في سلوكه، وتعمل هذه الأوامر والنواهي على **ضبط حرية الإنسان وتنظيمها**، ويعود **الالتزام** بها إلى **الاعتقاد بالثواب والعقاب**، ومصير الإنسان بعد الموت.

٣- **العامل الثقافيّ:** يمتاز كلّ مجتمع من المجتمعات بثقافته الخاصة التي تكوّن وعيه العام، ويقوم هذا الوعي بتحديد **أنماط السلوك المقبول** من قِبل الجماعة، المتفق مع قيمها، **فيحدد ممارسة الحريات** في المجتمع بما يتناسب مع هذه الأنماط والقيم؛ فمثلاً قد تكون

المرأة حرّة في مجتمع ما في قيادة السيارة أو العمل، وقد توضع قيود على حريَّة المرأة في بعض المجتمعات المتخلِّفة بحيث لا يُسمح لها مزاولة بعض الأعمال والأنشطة.

تشير هذه العوامل إلى أنّه لا يمكن للأفراد ممارسة حرياتهم في المجتمع **بشكل مطلق،** ذلك لأنّه لا يمكن **فصل الحريّة بوصفها قيمةً إنسانية** عن غيرها من القيم التي يجب على الإنسان تمثّلها **وإخضاع** سلوكه لها، وإذا كانت الحريّة **قيمة عليا** فإنّ الحق والخير يحتلان **مكانة أعلى** في توجيه هذه القيمة وضبطها بما يضمن **نَيْل** الفرد حقوقه **والتزامه** واجباته تجاه حقوق الآخرين الذين **يلتزمون دورهم** بواجباتهم نحوه.

- اضرب ثلاثة أمثلة عن ضبط الحريّة في مجتمعك تتناسب مع العوامل الثلاثة السابقة.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علل كلّاً ممّا يأتي:

١- العدالة شرط أساسيّ لتحقيق الحريّة.

٢- الدولة شرطٌ أساسيّ لتحقيق الحريّات.

٣- لقيمنا الأخلاقيّة أثرٌ في ضبط الحريّة وتنظيم حدودها.

٤- تختلف حريّة المرأة في العمل بين مجتمع وآخر.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- اشرح العوامل التي يسهم القانون من خلالها في الحدّ من جموح الحريّة؟

٢- كيف تعمل الدولة على صيانة حريّة رعاياها؟

ثالثاً- الموضوع:

قد تكون الحريّة واحدةً في جوهرها، لكنّها متعددّة من جهة تطبيقها وممارستها، ناقش هذا الموضوع من خلال شرح عوامل ضبط الحريّة وتعيين حدودها، وبيّن رأيك.

المراجع:

-روسو، جان جاك. (١٩٧٢). *العقد الاجتماعي*. ترجمة: بولس غانم. بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.

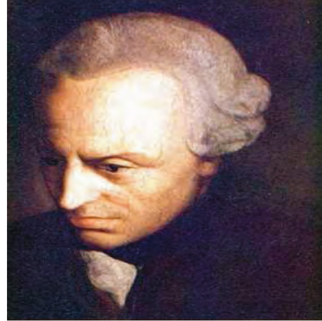
-فال، جان.(١٩٦٧). *طريق الفيلسوف*. ت.أحمد حمدي محمود. القاهرة: مؤسّسة سجل العرب.

-بوبر، كارل.(٢٠٠٩). *في الحرية والديموقراطيّة*. ترجمة عقيل يوسف زيدان. مركز الحوار للثقافة.

-زيادة، معن وآخرون.(١٩٨٦). الموسوعة الفلسفيّة العربية. بيروت: معهد الإنماء العربي.

تحليل نص

(الحرية خاصيَّة تتميز بها إرادة جميع الكائنات العاقلة)



أمانويل كانط

لا يكفي، لسبب من الأسباب، أن ننسب الحريَّة إلى إرادتنا، إذا لم يكن لدينا سبب كاف يجعلنا ننسبها كذلك إلى جميع الكائنات العاقلة. إذ إنه لما كانت الأخلاقيَّة لا تصلح قانوناً لنا إلا من حيث إننا كائنات عاقلة، فينبغي لها كذلك أن تكون صالحة لجميع الكائنات العاقلة، ولما كان من الواجب أن تُستمد من خاصية الحريَّة وحدها، فإنَّ من الواجب كذلك أن نثبت أنَّ الحريَّة خاصيَّة تتصف بها إرادة جميع الكائنات العاقلة، وليس يكفي أن نبرهن عليها باللجوء إلى بعض التجارب المزعومة للطبيعة الإنسانيَّة (فهذا أمر يتعذر في الواقع تعذراً تاماً ولا سبيل إلى البرهنة عليه إلا بطريقة قبليَّة)، بل ينبغي أن نثبت أنها تتصل بوجه عام بفاعلية الكائنات العاقلة التي وهبت الإرادة. أقول إذن: إنَّ كلّ كائن لا يمكنه أن يفعل فعلاً إلا تحت تأثير فكرة الحريَّة، فهو من وجهة النظر العمليَّة كائن حرّ حقاً، أي أنَّ جميع القوانين المرتبطة بالحريَّة ارتباطاً لا ينفصم تصلح للانطباق عليه تماماً كما لو أنَّ إرادته في ذاتها ولأسباب تقرها الفلسفة النظريّة قد اعترف بحريتها اعترافاً صحيحاً. والآن أذهب إلى أنه ينبغي علينا بالضرورة أن نضيف فكرة الحريّة إلى كلّ كائن عاقل ذي إرادة، وهي الفكرة التي لا يستطيع أن يقدم على فعل من الأفعال إلا إذا كان واقعاً تحت تأثيرها. ذلك لأننا نتصور في مثل هذا الكائن عقلاً عمليّاً، أي عقلاً يملك العليّة بالقياس إلى موضوعاته. ولكن من المستحيل أن نتصوّر عقلاً يتلقّى وهو في تمام وعيه توجيهات أحكامه من الخارج، لأن الذات لن ترجع في هذه الحالة تحديد مَلَكَةِ

الحكم فيها إلى عقلها بل إلى دافع من الدوافع. يجب أن يعدَّ العقل نفسه مصدر مبادئه، مستقلاً في ذلك عن التأثيرات الغريبة عنه، كما يجب عليه تبعاً لذلك، بوصفه عقلاً عمليّاً أو إرادة كائن عاقل، أن يعدَّ نفسه حرّاً؛ إنَّ إرادة الكائن العاقل لا يمكن أن تكون إرادة ذاتيّة إلا بالقياس إلى فكرة الحريَّة، وهكذا ينبغي لمثل هذه الإرادة، من وجهة النظر العمليَّة، أن تضاف إلى جميع الكائنات العاقلة.

توضيحات:

هذا النصّ مأخوذ من كتاب أمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، راجع الترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات الجمل، كولونيا- ألمانيا، ٢٠٠٢، ص: ١٤٩ - ١٥٠ .

أمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف ألماني يُعدّ من أعظم فلاسفة العصر الحديث، ومؤسِّس الفلسفة النقديّة، من أهم مؤلفاته: نقد العقل المحض، نقد العقل العمليّ، الدِّين في حدود العقل وحده...

مَلَكَة الحكم: تعني القدرة في الشخص التي بها يحكم على الأشياء أو يقوّمها ويميِّز بوساطتها الصواب من الخطأ والحق من الباطل.

المناقشــــة:

اقرأ النص قراءة متأنية صامتة ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

١- حدّد المصطلحات الجديدة الواردة في النص.

٢- استنتج الإشكاليّة الرئيسة في النص.

٣- لخّص الأفكار الفرعيّة الواردة في النص.

٤- لماذا لا تصلح الأخلاقيّة لنا إلا من حيث إننا كائنات عاقلة؟.

٥- فسِّر قول كانط: " ينبغي علينا بالضرورة أن نضيف فكرة الحريَّة إلى كلّ كائن عاقل ذي إرادة".

٦- ماذا يعني أن يكون العقل العمليّ عقلاً يملك العليَّة بالقياس إلى موضوعاته؟.

٧- اقترح عنواناً آخر للنص.

الحضارة

الدرس الأول	معنى الحضارة وعوامل تكوّنها
الدرس الثاني	اتصال الحضارات وتعاقبها
الدرس الثالث	أهميّة الحوار بين الحضارات
الرس الرابع	حوار الحضارات أم صراعها
الدرس الخامس	تحليل نصّ فلسفيّ

معنى الحضارة وعوامل تكونّها

الأهداف التعليميّة:

يُتوقّعُ من الطالبِ بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١- يشرح معنى الحضارة .

٢- يشرح العلاقة بين الحضارة والثقافة.

٣- يعدّد العوامل المؤسّسة للحضارة.

٤- يقدّر العوامل المؤثّرة في نشوء الحضارات وتطوّرها .

٥- يثمّن الشرط الإنسانيّ في بقاء الحضارة واستمرارها .

معنى الحضارة وعوامل تكونها

قول للمناقشة

الحضارة هي ثمرة كلّ جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة ماديةً أم معنوية.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١. هل الحضارة ظاهرةٌ إنسانيّة؟ ولماذا؟

٢. ماذا يعني الجهد المقصود والجهد غير المقصود؟

٣. أعط مثالاً عن الحضارة بوصفها ثمرة ماديّة أو ثمرة معنويّة.

في ضوء ما سبق سنناقش الآتي:

أولاً–معاني الحضارة:

١– المعنى اللّغوي:

ورد في معجم **لسان العرب لابن منظور** أنّ " الحضر : خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، و**الحضارة** الإقامة في الحضر.

٢– المعنى الاجتماعي:

من شأن هذا المعنى اللغوي أن ينقلنا إلى **ابن خلدون** الذي عرّف **الحضارة** بأنّها مشتقّة من البداوة، أي بدأت مع البدو لاشتغالهم بالرعي والزراعة اللذين أمَّنَا لهم قوت يومهم لكنّها انتهت بالمدينة، فيتضح من ذلك أنّ **ابن خلدون** هو أوّل من استخدم هذا اللفظ في أقرب معنى إلى المعنى الذي نفهم به **الحضارة** اليوم، ففرّق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري؛ فالبداوة عنده أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر، لأنّهم يقتصرون على **"الضروريّ في أحوالهم العاجزون عمّا فوقه وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، لأنّ الضروريّ أصلٌ والكماليّ فرع ناشئ عنه ، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما ، ولكن نجد التمدّن غاية للبدوي يجري إليها وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها".**

٣ – المعنى الفلسفي:

وإذا كانت البداوة **عند ابن خلدون** أصل **الحضارة** ، فإنّ **الحضارة** عنده نهاية العمران، وهي بهذا المعنى تلتقي مع لفظة المدينة؛ فلقد جاء في المعجم الفلسفي أنّ المدنيّ " **هو المنسوب إلى المدينة أو إلى الناس الذين يعيشون في المدينة** "

وعرّف **لالاند** المدينة في موسوعته الفلسفية بأنّها " **حالةٌ مجتمعيّة مقابل الحالة الطبيعية** ، وهي تتجم عند جان جاك روسو عن **عقد اجتماعيّ**" يهدف إلى اختيار فئة حاكمة من بين الناس تتولّى حكمهم وتحقيق الأمن لهم والدفاع عن حقوقهم ونشر مبادئ المساواة والعدالة بينهم، هذه الفئة الحاكمة هي الدولة التي يختارها الأفراد بطريقة الانتخاب الحرّ . ويبطل العقد وتفقد الدولة شرعيتها حين تخالف مضمون العقد .

ثانياً– العلاقة بين الحضارة والثقافة:

الحضارة بمعنىً من المعاني مرادفة للثقافة ، فهناك اتفاق على إقامة نوع من التطابق بين الثقافة والحضارة؛ فالثقافة مجموعة القيم والرموز والأخلاق والمعتقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات والوسائل والمهارات التي يستعملها الإنسان في تعامله مع بيئته، وبتعبير آخر آداب الناس في أحوالهم في المعاش وأمور الدنيا ومعاملاتهم وتصرّفاتهم في الحياة اليومية، كما يمكن أن يقال بلغة ابن خلدون، وهي الفكر من علوم وفلسفة ومذاهب وعقائد ونظريّات، وتتداخل هذه المكّونات مع بعضها البعض وتشكّل معاً الثقافة العامة لأيّ شعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات.

وفي ضوء ذلك فإن الثقافة متنوّعة بتنوّع الشعوب، وتختلف من مجتمع إلى آخر وهي انتقاليّة، تنتقل عن طريق الاحتكاك من شعب إلى شعب، متطوّرة ومتغيّرة وبشكل ديناميكي متحوّلة باستمرار، إلا أنّ هناك طائفةً من الباحثين تطلق لفظ الثقافة على تنمية العقل والذوق الرفيع، وبعضهم يطلقه على نتيجة هذه التنمية، أي على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات.

وكذلك فإنّ بعضهم يطلقه على اكتساب الصفات والأخلاق الصالحة، وبعضهم الآخر يطلقه على نتيجة هذا الاكتساب، أي على حالة التقدّم والرقي التي وصل إليها المجتمع .بمعنى أنها تشمل اللغة والدين والمعتقدات والتاريخ والعلوم والفنّ والأخلاق والقوانين والعادات والتقاليد.

ولكلّ جماعة ثقافتها المعبّرة عن وجودها، ولابد من أن تعيش الجماعة مدّةً طويلة حتى ترسخ هذه الثقافة، وكان بعض العلماء يطلق لفظ الثقافة على المظاهر الماديةُ، ولفظ الحضارة على المظاهر العقليّة والأدبيّة ويذهب بعضهم الآخر خلاف ذلك فيقرّر أنّ لفظ الحضارة يدلّ على جملة المظاهر المادية، بينما تدلّ الثقافة على مجمل النشاطات العقليّة والروحيّة.

وقد ذهب بعضهم إلى أنّ **الحضارة** هي البحث في إنجازات الإنسان، و التطوّرات التي لحقت به على صعيد الجسم والوعي، وأن ليس للحضارة من سبب أو علّة واحدة بل هي نتيجة مجموعة من الظروف الكونية أو البيئية، فالإنسان هيئ جسميّاً وعقلياً ليتطوّر ويصبح بمقدوره أن يبدأ بالحضارة التي هي نتيجة تجاربه، وخلاصة مكتسباته.

هذا التعريف يتميّز بمسعىً شموليٍّ جلي نقتطف منه تأكيده ارتباط مفهوم **الحضارة** بتأثير الإنسان حصراّ، وإيضاحه أنّ **الحضارة** خلاصة التجارب الإنسانية، وهي المحصلّة العليا للمكتسبات والإنجازات الإنسانية في الميادين كافة، وإذا كان معنى الثقافة ينزع إلى الخصوصية، فإن معنى الحضارة ينزع إلى العمومية؛ فالثقافة هي الحضارة الخاصّة بأمة من الأمم، لا يشاركها في شأنها أحد، تحمل صيغة هذه الأمة، وتتّسم بسماتها، وقد تصبّ ثقافات عدّة في نهر حضارة واحدة، وبالرغم من اختلاف المعاني السابقة للحضارة، إلا أنها تتفق جميعاً في الإنسان جوهر الحضارة، وهو مصدر كل فعل حضاري وغايته.

ثالثاً– عوامل الحضارة:

تؤثّر في الحضارة عوامل مختلفةٌ قد تساعد على نموّها وازدهارها أو قد تعيقها وتؤدّي إلى انحطاطها، منها:

١– العوامل الطبيعيّة:

لم تنشأ الحضارة في العصور الجيولوجية السحيقة، بسبب عدم توافر الظروف البيئيَّة المناسبة وإنما ابتدأت الحضارة عندما انحسر الجليد إلى الجبال الشاهقة وتراجع نحو القطبين ممّا كشف بعضاً من اليابسة وسالت فيها الأنهار والينابيع، فتشكّلت الوديان والسهول وابتدأت أولى المخاضات الحضارية في التاريخ البشريّ في بلاد الرافدين ووادي النيل والهند والصين...، فخيرات الأرض وكنوزها هي الأساس الطبيعي لبناء أية حضارة.

٢ – العوامل الجغرافيّة:

إنّ اتساع الرقعة الجغرافية واتصالها يوّفر الإفادة المثلى من تنوّع العوامل الطبيعية إضافة إلى أهميّة قرب الموقع الجغرافيّ من مناطق مأهولةٍ، الأمر الذي يتيح التفاعل الحضاريّ أخذاً وعطاءً مع المجموعات البشرية التي تعيش في أقاليم مجاورةٍ، وكثيراً ما كان ضيق المكان عائقاً أمام نموّ الحضارة وكلّنا يعرف ما للكشوف الجغرافيّة الكبرى " **طريق رأس الرجاء الصالح، واكتشاف العالم الجديد**" من أثر مهمٍّ في نموّ الحضارة الغربيّة إلى درجةٍ انتقل إليها الثقل الحضاريّ بعد أن كانت الحضارات الراقية محصورةً في نطاق العالم القديم.

وبرغم أهميّة العوامل الجغرافيّة فإنّ وسائل الاتصال الحديثة أضعفت من خطر عامل الانعزال والبعد الجغرافيّ فاقتحمت الحضارة أصغر الجزر في المحيطات وأبعدها غير أن العوامل الطبيعيّة والجغرافيّة برغم أنّها شرط ضروريّ لقيام الحضارة إلا أنّها شرطٌ غير كافٍ؛ لأنّ الطبيعة مجرّدة من الإنسان لا تنشئ لنفسها حضارةً؛ لأنّ الحضارة في جوهرها صرح إنسانيّ ماديّ من جهة، واجتماعيّ وفكريّ وروحيّ من جهات أخرى.

٣ – العوامل الاقتصاديّة:

إن أولى الحاجات التي يتوقّف بقاء الفرد على إشباعها هي الحاجات البيولوجيّة فضلاً عن الحاجة إلى الشعور بالأمن من أخطار الطبيعة المؤذية ومن أجلها كدح الإنسان مستخدماً عضلاته وأدواته الطبيعيّة الأولى (الحجر والعصا)، ثمّ اكتشف الإنسان النار وليّن المعادن وصنع الأدوات بدءاً من الفأس وانتهاء بالآلات ذاتية الحركة، وانبثق الاقتصاد الذي ساعد الإنسان على الانفصال عن مملكة الحيوان والانتظام في مجتمعات، وقسّمت العمل فظهرت الحِرَف وتمايزت، ونشأت شروط التبادل التجاريّ التي كان لها الفضل الأكبر في ازدهار الحضارات القديمة وانتشارها مثل حضارة الفينيقيين الذين جعلوا شواطئ المتوسط شاهداً ثابتاً على أسبقيتهم الحضارية.

وإذا كانت الحاجات الماديّة هي دافع النشاط الاقتصادي، فإنّ تراكم الثروة وتزايد السكان والوفرة الاقتصاديّة مكنوا الإنسان من الارتقاء في تنظيماته الاجتماعية وإبداعه الفكري والروحي.

وعلى الرغم من أهمية العوامل الاقتصاديّة في نشوء الحضارة وارتقائها، إلا أنّها ليست العوامل الوحيدة.

٤ – العوامل الاجتماعيّة:

إنّ الإنسان كائنٌ اجتماعيّ يتجلىّ ميله الاجتماعيّ بالمواءمة بين سلوكه ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها؛ ليحظى بالشعور بالانتماء والأمن والأنس والمشاركة، ويبعد عنه ألم الوحشة والاغتراب .

لذلك نشأت الأنظمة الاجتماعيّة التي تعبّر عن هويّة الجماعة، وحدّدت الأوامر والنواهي والمحرّمات وفرضتها على الأفراد على شكل واجبات مقابل تأمين حقوق كفلتها لهم؛ كحق الحياة والحريّة والمعتقد والاجتماع، وتولّت السلطات القبليّة والنقابيّة والقضائية حراسة هذه الحقوق والمطالبة بالواجبات.

والحقيقة أنّ المجتمعات التي تدمج الفئات الاجتماعيّة في الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية، وتوّسع دائرة المشاركة تكون أكثر رقياً من الناحية الحضارية، أمّا المجتمعات التي تعاني من الانغلاق الطبقي وتمنع الحركيّة الاجتماعيّة كما في الهند القديمة مثلاً فتحكم على نفسها بالجمود والضعف والخضوع للهيمنة الخارجية .

٥ – العوامل الفكريّة والروحيّة :

إنّ الطبيعة قدّمت للحيوان مستلزمات بقائه، ولكنّه لم يبن الحضارة ولو كانت العوامل الطبيعيّة والجغرافيّة والماديّة وحدها لبقيت بكراً، إلا أنّ الإنسان بما يحمل من طاقات عقليّة وروحية وإراديّة حقّق التآزر بين يده وعقله؛ فهندس الطبيعة وطوّعها، وإنّ انطلاق هذه الطاقات رهن بتوافر شرطين مهميّن هما :

أ – روح العصر المناسبة:

تعني جملة الشروط الفكريّة والفلسفيّة التي تشكّل مناخاً ثقافياً، وتؤدي دوراً حاسماً في صعود الحضارة أو سقوطها، ويمكن تمييز نوعين من روح العصر:

– روح الجمود والتقليد:

تسود الأفكار السلبيّة والخرافات والأوهام التي تجعل الإنسان يائساً محبطاً مستسلماً لتسلط القوى الاجتماعيّة الطاغية، والطبيعة القاسية فيغذي روحه بمفهومات خاطئة عن الكون والحياة تكبّل قواه وهذا ما دعاه المفكّر الإيطالي **فيكو** حالة العدوان على العقل وتتجلّى

بملاحقة المفكّرين والعلماء مثل مأساة ابن عربي ومحنة ابن رشد وسقوط بغداد على يد هولاكو، وكذلك حدث الأمر نفسه في أوروبا الإقطاعيّة عندما تعرّض العلماء لكل آفات التنكيل بدعوى الكفر.

- روح التفاؤل والحداثة:

توقظ روح الفضول التي لا ترتوي ممّا يدفع الناس إلى الكشف والإبداع، وهو ما ميّز اليونان في عصر **سقراط** وبدايات العصر العباسيّ، عندما ظهر فلاسفة وعلماء مثل الكندي والرازي وابن سينا ... وكذلك فلسفة الأنوار التي مهّدت للحضارة الأوربية التي سميّت بهذا الاسم لما قدّمته من مناخات فكرية ترعرع في كنفها مارتن لوثر، ورينيه ديكارت الذي بدّد ظلمات الأوهام وأرسى قواعد الشكّ المنهجيّ، الذي لا يقبل فكرة على أنّها يقين ما لم تكن خاليةً من كلّ شبهة وشك.

ب- المبدعون الروّاد:

تؤثّر روح العصر في نفوس الأفراد تأثيراً متفاوتاً فقلة منهم تستطيعُ استيعاب مشكلات عصرها وتقدّمُ إسهاماتٍ جليلةً تخلّد أسماء من ينضوون في هذه الفئة، ممن هم نتاج روح العصر وأحد أسبابه في آن معاً، وهم عبر التاريخ الأنبياء والمصلحون والمفكّرون والعلماء والفلاسفة والقادة بالإضافة إلى جماهير غفيرةٍ من المثقفين الذين يهتدون بهم.

كذلك هناك عوامل **سياسيّة** مهمّة تعمل عملها؛ إذ يجب أن يكون هناك نظامٌ سياسيّ يحمي الجماعة، و**لغةٌ** للتبادل الفكري، ويجب أن يكون هنالك **مجموعة نظم أخلاقيّة** عن طريق العائلة أو المدرسة أو الجامعة توحّد الناس بإعطائها قواعد النظام والتوجيه في السلوك، ويجب أن توجد **التربية** أو وسيلة أخرى لنقل الحضارة، فتراث الجماعة من لغة ومعارف وآداب وعادات وفنون يجب أن ينتقل إلى صغارها لأنّهم بهذه الوسيلة ينقلبون إلى بشر.

إنّ الحضارة رهن بتوافر جملة من العوامل الطبيعيّة والماديّة والاجتماعيّة والروحيّة ...إلخ، وهي تتآزر معاً فتطبع الحضارة بطابعها الخاص ولا بد من نفي أيّ دور لعامل العرقي؛ لأنّ أيّة حضارة أسهم في نشوئها وازدهارها جماعاتٌ تنتمي إلى أصول عرقيّة متعدّدة.

و**الحضارة** تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلّع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذٍ لا تنفكّ الحوافز الطبيعيّة تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

ليست الحضارة بالاختراعات والمبتكرات المادية واستهلاك المواد والرفاهية، وإنّما الحضارة بجملة مقاييس تقاس بها، منها الفضائل الأخلاقيّة التي تقوم على التزام القيم الصحيّة واحترام الآخر والتصرّفات اللائقة، واحترام القوانين، فالحياة المتحضّرة بأهلها الذين يصنعون الحياة السويّة بعيداً عن الجهل والأميّة والتخلّف وأخذاً بالعلم والاستفادة من معطياته التي ترقى بالإنسان.

الحضارة بالإيثار ومحبّة الناس والعطاء وحبّ الطبيعة والعمل على تخليصها من تلّوث البيئة، وبناء الوطن ليكون كلّ يوم خيراً من اليوم الذي سبق.

نجمل القول ونؤكد إنّ **الحضارة** هي ما صنع الإنسان، وما يصنع، مذ وُجد على وجه الأرض، ما بقي عليها، إنها من الإنسان وللإنسان، ولا **حضارة** خارج الإنسان.

أسئلة التقويم والمناقشة:

١–اختر الجواب الصحيح فيما يأتي:

أ) مؤلف كتاب العقد الاجتماعي:

ديكارت – لالاند – كانط – روسو

ب) المدينة حالة مجتمعيَّة مقابل الحالة الطبيعيَّة عند:

أرسطو – ابن خلدون – روسو – لالاند.

٢– حدِّد العلاقة بين كلٍّ من المعنى الاجتماعي والمعنى الفلسفي للحضارة.

٣– علل ما يأتي:

- الثقافة متطوِّرة ومتغيِّرة.
- معنى الثقافة ينزع إلى الخصوصيَّة.
- الحضارة تبدأ من حيث ينتهي الاضطراب والقلق.

٤– الموضوع:

الحضارة بمعناها العام الإنساني، تشير إلى كلّ ما اكتسبه الإنسان من أمور ثقافيّة وماديّة، من خلال سيطرته على الطبيعة.عالج هذا الموضوع من خلال دراستك العوامل التي تسهم في تكوين الحضارة وبيّن رأيك.

المراجع:

–ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٩٨٨). *مقدّمة ابن خلدون ج١* . بيروت: دار الفكر.

–ابن منظور.(١٩٥٥). *لسان العرب، المجلد الرابع*. بيروت: دار بيروت.

–بركات، سليم . (١٩٩٠). *فلسفة الحضارة والتاريخ* .دمشق: مطبعة جامعة دمشق.

- Paul Edwards. (1967). the encyclopedia of philosophy , v.2 , Macmillan publishing new York , p. 273.

–ديورانت، ول .(١٩٦٤). *قصة الحضارة* . القاهرة: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

–زيادة، معن.(١٩٨٦). الموسوعة الفلسفية العربية– المجلد الأول. بيروت: معهد الإنماء العربي. مادة حضارة. ص٣٦٨.

–صليبا، جميل. (١٩٧٩) المعجم الفلسفي ج١.ج٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني. باب الحاء ص ٤٧٦ – ٤٧٧. باب الميم ص٣٦٠.

اتصال الحضارات وتعاقبها

الأهدافُ التعليميّةُ:

يُتَوَقَّعُ منَ الطَّالبِ بعدَ تنفيذِ أنشطةِ الدَّرسِ أنْ:

١- يستنتج أهمّ الانعطافات الحضاريّة والثقافيّة التي كانت نقطة انطلاق وتحوّل في التفكير الإنسانيّ.

٢- يشرح أهمّ مظاهر حضارات الشرق الأدنى القديم.

٣- يستنتج وجود إنجازات فكريّة وتقنيّة عظيمة لحضارات الشرق الأدنى القديم.

٤- يشرح التواصل والتلاقح بين الحضارات.

٥- يبيّن التمايز والاستقلاليّة بين الحضارات.

٦- يجادل في تكامل الحضارات.

اتصال الحضارات وتعاقبها

قولٌ للمناقشة

يقول عالم الاجتماع/أنتوني غدنز/:"إنّنا نقترب باضطراد من العيش في (عالم واحد) يتزايد فيه الاعتماد المتبادل والتواصل الحضاريّ بين الأفراد والجماعات والأمم".

ناقش زملاءكَ في الأسئلةِ الآتيةِ:

١. ما أهميّة التواصل الحضاريّ في حياة الإنسان في رأيك؟
٢. هل لهذا التطوّر جذورٌ تاريخيّةٌ برأيك أو أنه أتى بالصدفة؟ وضّح ذلك.
٣. هل أنت مع التواصل بين الحضارات، ولماذا؟

نستخلصُ منْ مناقشةِ الأسئلةِ السَّابقةِ الآتي:

أولاً: أبرز الانعطافات الحضاريّة والثقافيّة في التفكير الإنساني:

شكّلت المفاهيم الحضاريّة والثقافيّة نقطة انطلاقٍ في التفكير الإنسانّي لكلّ الحضارات والثقافات اللاحقة، وقد أغنى الإنسان أسلوب حياته بالابتكار والتعلّم بوساطة الانعطافات الكبرى التي شكّلت الحضارة الإنسانيّة، ومن هذه المنعطفات :

أ-المنعطف الأوّل:اكتشاف الإنسان التربة: جمع الإنسان بذور التربة وثمارها وسائر خيراتها في بلاد الشرق الأدنى، فعمل على تدجين الحيوانات واستعمل المحراث، ويعدّ هذا أهمّ انقلاب في حياة الإنسان، وهو (الانقلاب الزراعيّ أو إنتاج الطعام)، وتعلّم الإنسان التموين الغذائيّ ووجد طرائق لحفظ اللحوم والحبوب.

ب-المنعطف الثاني:اكتشاف النار: في منتصف العصر الحجريّ طوّع الإنسان النار فأوجد النور، وبدّد الخوف واستعملها في التدفئة، ممّا مكّنه من الانتقال في مختلف الأقاليم، وبعد أن كان يأكل اللحوم والخضار من دون طبخ، أصبح يأكلها مطبوخة.

ج-المنعطف الثالث:اكتشاف المعادن: تمّ تذويبها بوساطة النار، فصنع الإنسان البدائيّ الأدوات من العظم والعاج، وأوجد الحياكة، فقام بصنع السلال والملابس والخزف، وبناء البيوت، ثمّ اخترع الحبال والآلات الدافعة والعجلات.

د-المنعطف الرابع: إيجاد التبادل التجاريّ: نتيجةً لزيادة إنتاج مختلف الموادّ الزراعيّة والصناعيّة، نشأ التبادل التجاريّ، فتبادلوا الهدايا في أوّل الأمر، ثمّ السلع، ونشأت الأسواق،

فكانت موسميّة أو دائمة، واستعملت الموادّ المختلفة كوحدة أساسيّةٍ للتبادل، ومنها: الماشية- المعدن، فكانت الأوزان الدّالّة على القيم من البرونز والحديد، ثمّ من الفضّة والذهب.

هـ-المنعطف الخامس:إيجاد وسائل النقل: صنع الإنسان الزوارق وخطّط الطرق، واستعمل السفن الشراعيّة، وأخذ يجتاز المحيطات ويعبر القارّات لينشر حضارته.

لقد مكّنت هذه المنعطفات الحضارة البشريّة من الوصول إلى التقدّم العلميّ والتقنيّ الذي مكّن من جانبه الحضارات من التطوّر والتواصل، وهذا يشير إلى أنّ الحضارة عمليّة تراكميّة شاركت فيها مجموعة من الحضارات، بينما الثقافة هي مجموعة المعاني والقيم والعادات والمعتقدات، والمفاهيم و الأفعال والصيغ الاجتماعيّة التي مارستها الجماعات الإنسانيّة عبر وسائل الاتصال.

- أيُّ المنعطفات الحضاريّة له التأثير الأكبر في التفكير الإنسانيّ في رأيك؟

ثانياً: أهمُّ مظاهر حضارات الشرق الأدنى القديم:

للحضارة مظاهرٌ متعددّة ظهرت بها، فجعلتها مركز تنوير حضاريّ وثقافيّ في رحلة الإنسانيّة للتحضُّر والرقيّ، وهذا ما تجلّى في التفكير الإنسانيّ لكلّ الثقافات والحضارات اللاحقة التي شكّلت العمق الفكريّ والأدبيّ والفنيّ لتاريخها، ومن هذه المظاهر ما يأتي:

أ-المظهر السياسيّ:

يتضمّن هيكل الحكم ونوع الحكومة من : ملكيّة - جمهوريّة - دستوريّة- مطلقة- ديمقراطيّة- ارستقراطيّة- دكتاتوريّة- برلمانيّة- غير برلمانية، ثمّ يتناول دراسة نوع الإدارة، مركزية أو لامركزية، ومؤسّسات الإدارة المركزيّة والمحليّة.

ومنذ فجر التاريخ والإنسان يبحث عن النظم والتشريعات التي تحفظ حقوقه وواجباته وتؤمن له الأمن والأمان والعيش المشترك لبناء منظومة حقوقيّة تبعد عنه الخطر والخوف والعزلة، فوضع أسس الدولة وقوامها الأنظمة والتشريعات الإداريّة، ونظام تسيير أعمال الدولة. **مثل تشريعات (حمورابي)** الذي اهتمّ بالقضايا السياسيّة والعسكريّة وشكّل إمبراطوريّةً مترامية الأطراف.

ب-المظهر الاقتصاديّ:

شمل موارد الثروة ووسائل الإنتاج الزراعيّ والصناعيّ وعلاقات الإنتاج والتبادل التجاريّ، ونوع الموادّ الزراعيّة والصناعيّة، واستعمل النقد وطرق المواصلات، واستعملوا

الفؤوس والمنجل في الزراعة، وطحنوا الحبوب في مطاحن حجريّة تدار باليد، اعتنوا بالحيوانات، ومارس الفينيقيون والآراميون التجارة في سوريّة داخليّاً وخارجيّاً، وكذلك كانت بابل مركزاً تجاريًّا في العراق، وحرّان في شمال سوريا.

ج-المظهر الاجتماعيّ:

تجلّت مظاهر الحضارات في تكوين المجتمعات ونُظُمها ومؤسّساتها وطبقاتها وعلاقاتها فيما بينها والأسرة (المرأة - الزواج - الطلاق)، والعادات والتقاليد والمسكن والأعياد والأزياء وغيرها، فالتنوّع السكانيّ خلق للحياة الاجتماعيّة نمطاً محدداً لسكانٍ وطبقاتٍ متنوّعة، منها: طبقة الأحرار- طبقة العبيد- المرأة، إذ كان للمرأة أثرٌ مهمٌ في حضارات الشرق الأدنى، ويدلّ على ذلك الأسماء المؤنثة للإلاهات، فقد عثر على ختم ملكة أوغاريت على وثائق تجاريّةٍ عدّة تتعلّق بنشاطات تجاريّةٍ محددّة، ممّا يؤكّد أثرها الرائد في المجتمع القديم.

د-المظهر الثقافيّ:

اهتم بما أنتجه الفكر من نشاطاته العلميّة والفلسفيّة والأدبية، مثل: المعتقدات الدينيّة - الآداب - العلوم - الموسيقا - النحت التصوير - وفن العمارة، وظهرت في **بلاد الشام** الأبجدّية في أوغاريت (رأس شمرا)، وانتشرت الآراميّة وأصبحت لغة التجارة الدّوليّة، وتعدّد المكتبات والمدارس، مثل: مكتبة إيبلا- مكتبة ماري - مكتبة أوغاريت. واشتهر الفراعنة في الكيمياء (التحنيط) والطبّ والعلوم الزراعيّة، كما برعوا في مسح الأراضي، واهتمّ الفينيقيون بالملاحة، كما شُيِّدت الأبنية من الحجارة الكلسيّة والبازلتيّة والآجر، كما اهتموا بالموسيقا، وفي **بلاد الرافدين** قُدّم نظام الكتابة المسماريّة، كما برع أهلها في الرياضيّات والطب، وتميّزوا في علم الفلك وفي بناء القصور، واهتموا بالنقش على الأختام وإنشاء الحدائق، واستعمل **اليمنيّون** الخطّ المسند في كتاباتهم وتميّزوا برقيّ فكرهم من شعر ونثر ساعد على ازدهار الأدب.

- أيّ المظاهر الحضاريّة له الأثر الأكبر في التقدّم الحضاريّ في رأيك، ولماذا؟

ثالثاً:أهمُّ منجزات حضارات الشرق الأدنى القديم:

شهدت الحضارة الكثير من الإنجازات الفكريّة والتقنيّة، من أهمّ منجزاتها ما يأتي:

أ- اختراع الأبجديّة:

من أعظم ما قدّمته الحضارة الفينيقيّة للبشريّة اختراع الأبجدّية، (أبجديَّة أوغاريت).

علماً أنَّ الفينيقيين هم من كتبوا الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل العربية)، ونشروها في جميع بلاد العالم شرقاً وغرباً.

ب-الصباغ الأرجواني:استخرجه الفينيقيّون من (أصداف المريق)، وهو نوعٌ من المحار لصباغ الأقمشة.

ج-صناعة السفن: صنع الفينيقيّون السفن التي هي مراكب شراعيّةٌ تتألّف من سارية واحدة وشراعٍ مربّعٍ ومجاديف يدوية.

د-التجارة والتبادل التجاريّ:

ازدهرت الحياة الاقتصاديّة عند الفينيقيِّين إذ اعتمدوا على الصناعة والمهارة في الحرف اليدويّة، وعلى الصعيد التجاري، اشتهر الفينيقيّون في تجارة الصباغ الأرجوانيّ صباغة الأقمشة والزجاج- المعادن- الفخار- النبيذ- الغار- الأرز - الخشب وتبادلوا هذه المنتوجات مع اليونان- ايطاليا - اسبانيا والجزر المتوسطية.

هـــ-تدوين التاريخ والمراسلات:

دأب إنسان وادي الرافدين على تدوين تاريخه بصورة حوليّات تتناول أهمّ الأخبار التي جرت في عام معيَّن، وقد اقتبس عنهم اليونانيّون القصائد الهوميريّة؛ إذ مرّت الكتابة التي اخترعها هذا الإنسان في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد بمراحل ثلاث:

مرحلة الصور والأشكال- مرحلة الرموز والأصوات- مرحلة الأبجديّة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحضارة السومريّة تعدّ من أُولى الحضارات من حيث عنايتها بالتربية والتعليم، ومن منجزات تلك الحضارة اختراع الكتابة وتدوين الألواح وإنشاء المدارس، وكان التلاميذ يتقنون فنّ القراءة والكتابة لتدوين الوثائق وتسجيل العقود وكتابة الرسائل والنصوص الدينيّة والأدبيّة والقانونيّة، إذ كانت مادة الكتابة هي الطين التي لها الأثر الأكبر في تحديد نوع الكتابة وطريقتها، وفي حفظ الوثائق المدونّة من التلف، وفي طريقة جمع النصوص وفهرستها.

أمّا المراسلات فاستعملت بين الملوك، وكانت تُبتدأ المراسلات بـــ (من فلان إلى فلان وتختتم بالتمنيّات بالصحة والحياة السعيدة، ومن ثمّ يدخلون في الموضوع) وهذا النهج لا يزال سائراً حتّى اليوم.

ز-المجال الأدبيّ والفكريّ والعلميّ: عُرِفَت حضارة ما بين النهرين بمجموعة من الكتّاب، منهم:(دودو) الذي عاش في مدينة لكش عام ٢٣٥٠ ق.م و(سين)- (ليقي)-(كبتي)-(ايلاني).

كما اشتهروا في علم الفلك والأساطير ونضجت طرق الكتابة، وانتشر استعمالها في العصر السومريّ، فدّونت بها السجلّات الرسميّة وأعمال الملوك والأمراء وعلاقتهم بغيرهم من الحكّام، وشؤون الناس، كالمعاملات التجاريّة والأحوال الشخصيّة والمراسلات والأساطير، فضلاً عن الشؤون الدينيّة والعبادات، وعلى صعيد الحضارة الآشوريّة، فقد اشتهر الملك آشور بانيبال بثقافته الواسعة، فقد اهتمّ بالأدب والمعرفة، فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزّنها في مكتبةٍ في عاصمته نينوى ضمّت مختلف أصناف العلوم والمعارف التي بلغتها حضارة العراق.

ح-النشر والترجمة والبحث العلميّ:

فقد اشتهرت حضارات الشرق الأدنى بنشر كتاباتهم بحرفها الأصليّ، ثمّ نقلوها إلى الحروف اللاتينيّة وترجموها إلى لغات حديثةٍ، وهذا ما حصل للوحات ماري التي نشر منها حتّى الآن أكثر من خمس مجلّداتٍ، ولوحات رأس شمرا التي نشرت في كتب مختلفة وترجمت إلى لغات حديثة متعدّدة، وصدرت دراساتٌ كثيرة بخصوص ما حصل لعدد من الوسائل التي كتبت على أوراق البردى، فنشرت وترجمت وظهر علمّ جديد في الجامعات يقوم على دراسة هذه الأوراق وما كتب عليها من لغات مصريّةٍ وآراميّةٍ ويونانيّةٍ وعربيّة.

أمّا المخطوطات فنشرت في العصور الوسطى بشتّى اللغات مكتوبةً على أنواع مختلفة من الموادّ ولا سيما الورق.

ط-فنّ العمارة:

اشتهر السومريّون في بناء القصور والمعابد، فظهرت العقود والقباب لأوّل مرّةٍ كوسيلة في التسقيف وتقدّم فنّ التعدين وسبك المعادن وفن النحت؛ أما بالنسبة إلى الحضارة البابليّة فقد تميّز العصر البابليّ القديم باتساع المدن وكثرتها، فقد أسَّس البابليون عاصمةً جديدة قرب بغداد

الحاليّة عرفت باسم (دور)، وفي العهد البابليّ الحديث أشاد الملك نبوخذ نصر الأبنية في جميع مدن العراق، ومن أعماله العمرانيّة الرئيسة تشييد عددٍ كبير من المعابد الفخمة في بابل، وإقامة شارعٍ عُرف بشارع الموكب ومدخلٍ مهيب ضخم يدعى بباب عشتار يقع وراء هذا الباب قصره الفخم بجنائنه المعلّقة الذي عُرف في المصادر اليونانيّة بإحدى عجائب الدنيا.

كما اهتمّ الفينيقيّون بفنّ العمارة وبناء المدن، ومن أهمّ مدنهم أوغاريت (رأس شمرا) في سوريا، وكانت مركزاً تجاريّاً مهماً، فيها اكتُشفت أبجديّة يرجع عهدها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ومدينة صور التي كانت زعيمة المدن الفينيقيّة، وبنى الآراميّون مملكة بيت عدن عاصمتها تلّ برسيب على نهر الفرات حاليّاً، ومملكة دمشق التي كانت إحدى الممالك الآراميّة المهمة، ومملكة حماه الآرامية على نهر العاصي.

- وازن بين أهمّ المنجزات الحضاريّة البابليّة والفينيقية على الصعيد الثقافيّ والفني.

رابعاً:التواصل والتلاقح بين الحضارات:

تجلّت العلاقة بين الحضارات، منذ فجر التاريخ، بالتواصل والتثاقف، إذ إنّ العالم يعيش حضارة واحدة وثقافات عدة.

انطلقت حضارة الشرق الأدنى القديم نحو الألف الرابع قبل الميلاد، **أي قبل بزوغ الحضارة اليونانية القديمة بأكثر من ثلاثة آلاف عام** و حضارة الشرق لم تكن مغلقةً على نفسها، وإنّما امتدّ تأثيرها شرقاً وغرباً، فوصلت إلى حضارة اليونان التي كانت من جانبها منفتحةً على غيرها من المجتمعات، لاسيما أنّ هذه الحضارات كانت الأكثر تطوّراً وازدهاراً في عالم البحر المتوسط، وتجلّى هذا الاتصال في الميدان التجاريّ وتبادل المعارف العلميّة.

فالتواصل بين الحضارات أمر مؤكّد وثابت، إذ لا يمكن لأيّة حضارة أن تنبت من فراغ، وإنّما هي حلقة متّصلة أخذت ممن سبقها وبنت فوقها، ما نراه عند أرسطو – الفارابي– ابن رشد–أفلاطون–سقراط–الرازي–ابن خلدون، ليس إلا مجرّد تواصل الحضارتين العربيّة والإغريقيّة، فالعلاقة والتلاقي بين مختلف الحضارات يمثّل واقعاً تاريخيّاً ثابتاً.

ويرى كثيرون أنّ التاريخ الإنسانيّ ما هو إلا تاريخ الحضارات، وينفون إمكانية فهم أو تفسير تطوّر البشريّة من دون الإقرار بهذه الفرضية التي تصدق على أجيال متعاقبة من الحضارات منذ أقدم حضارات العالم التي نشأت في وادي الرافدين التي اعتمدت تدوين أخبارها السنويّة، وأبدعت في علم الفلك والأساطيل وطرق الكتابة وتأثّر بها اليونانيّون، وهذا ما اتّضح من

تأثّرهم بملحمة (جلجامش) في تأليفهم ملحمة (الإلياذة)، وما التقويم الذي يستعمله العالم اليوم، إلا شاهداً على التواصل والتلاقح بين الحضارات، وانتشر دستور الأدوية وتشريعات حمورابي التي كانت أوّل انتهاج لسنّ القوانين في العالم، وقد تواصلت الحضارات مع بعضها البعض عبر ما يأتي:

أ- التواصل بين النخب والعلماء والفلاسفة:

تمّ نقل تراث الشرق الأدنى القديم إلى بلاد اليونان عن طريق الفلاسفة والعلماء، وكان من بينهم :

١- **طاليس** (ت ٥٤٧ ق.م) الذي ذكر هيرودوت أنَّ نسبَه ينتمي إلى أسرة الثيليداي الفينيقيَّة النبيلة.وقد تعلّم في مصر الرياضيّات والهندسة، وأخذ عن البابليين علم الفلك، حتّى أنه تنبّأ بكسوف الشمس في ٢٨ مايو من عام ٥٨٥ قبل الميلاد بناءً على المعطيات الفلكيّة التي عرفها من علماء بلاد الرافدين، واطّلع على الكثير من علومهم ومعارفهم، فشكّل حلقة اتصال في انتقال تراث بلاد الشرق إلى بلاد اليونان.

٢- **فيثاغورس** (ت ٥٨٠ ق.م) سافر إلى بلاد الشرق، وتعلّم الرياضيات والهندسة والفلك والفلسفة والموسيقا والعقائد الدينيّة.

٣- **هيرودوت** (ت ٤٢٥ ق.م) زار مصر و وسوريّة وبلاد الرافدين وفارس وغيرها من البلدان الآسيويّة والإفريقيّة، ثمّ عاد إلى بلاده حاملاً تراثاً علميّاً ضخماً وإعجاباً عميقاً بحضارة الشرق.

ب - التواصلُ عبر الرحلات:

قام أبناء الشرق الأدنى بالرحلات إلى بلاد اليونان وغيرها من بلدان عالم البحر المتوسّط والغرب الأوربيّ بدوافع تجاريّةٍ وسياسيّة. فالمصريّون القدماء هم المصدرون الأوائل للقمح و ورق البرديّ إلى بلاد اليونان، والفينيقيّون قاموا بنشاط تجاريّ واسع في عالم البحر المتوسط منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد حتّى إنهّم سبقوا اليونانيين في اكتشاف الغرب الأوربي، وحملوا معهم الأفكار والعادات والقيم والفنون والعقائد والعلوم.

ج - التواصل عبر الفتوحات:

لقد فتح الاسكندر المقدونيّ الحضارات الشرقيّة ونقل علومها وآدابها وكوّن نواةً لأوّل متحف ومكتبة يونانيّة.

وقد أكّد المؤرّخون اليونان، أنفسهم، أنّ الفينيقيين علّموا اليونانيين كثيراً من العلوم والمعارف، وفي مقدّمتها الحروف الأبجديّة التي لم يكن هؤلاء على علم بها، وبوساطة اليونانيين والفينيقيين دخلت هذه الحروف إلى إيطاليا ثمّ إلى الغرب الأوربيّ كله.

فالتاريخ الحضاريّ هو، في مجمله، ثمرة الجهد الهائل والمتراكم للمسيرة الإنسانيّة على مدار التاريخ مشكّلاً جوهر العلاقة بين الحضارات القائمة على الأخذ والحوار والإفادة من التراث والإنتاج المشترك للحضارات الإنسانية المتعاقبة .

- بيّن أهمّية التواصل بين الحضارات.

خامساً: التمايز والاستقلالية بين الحضارات:

تمثّلت حضارة الشرق الأدنى القديم بالانطلاق و الانفتاح على محيطها الجغرافيّ عبر الكثير من المحاور العلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة و الاقتصاديّة، فلم تكن حضارة مغلقةً على نفسها ولا منقطعة عن غيرها، بل قامت بمجموعةٍ من المبادلات التجاريّة وتعاونت مع غيرها في كثير من المعارف العلميّة والسياسيّة.

احتفظت حضارات الشرق بمجموعةٍ من المقوّمات التي ميّزتها عن الحضارة اليونانيّة والهنديّة والصينيّة على الرغم من تأثيرها وتأثّرها بالحضارات الأخرى، واعتزّت كلّ حضارة بهويتها التي لم تلغي هويّة الحضارات الأخرى، أو الانغلاق في مواجهتها وادعاء التفاضل عليها، ورفضها إنتاجها الثقافيّ.

وهكذا نرى أنّ كلّ حضارة تعمل على تعزيز الحوار والتبادل الثقافيّ والاقتصاديّ والمعرفيّ الذي يُمكّن باقي الحضارات من التقدّم والرقيّ لصالح بني البشر، معتمدين على قيم التسامح والاحترام المتبادل لضمان حقوق الإنسان أياً كان موقعه ولونه وعرقه.

أسئلةُ التَّقويمِ و المناقشةِ:

١- اخترِ الجوابَ الصحيحَ:

ظهرت أبجدّية أوغاريت(رأس شمرا) في:

بلاد الشام – بلاد الرافدين – اليمن– الحضارة اليونانية.

٢- علِّلْ ما يأتي:

أ- إيجاد التبادل التجاريّ بين الحضارات القديمة.

ب- كان لمادة الكتابة (الطين) الأثر الأكبر في تحديد نوع الكتابة وطريقتها في الحضارة السومريّة.

٣- ما أهمُّ منجزات حضارات الشرق الأدنى القديم.

٤- ما أهميّة التمايز والاستقلاليّة بين الحضارات.

٥- **الموضوع:**

يعيش العالم حضارة واحدة وثقافات عدة، عالج هذا الموضوع من خلال دراستك للتواصل والتلاقح بين الحضارات، وبيّن رأيك.

المصادرُ والمراجعُ:

١. غدنز، أنتوني. (٢٠٠٥). *علم الاجتماع*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢. غارودي، روجيه. (١٩٧٥). *حوار الحضارات*. ترجمة: عادل العوا. بيروت: دار النفائس.

٣. فرانكفورت، هنري. (د.ت). *فجر الحضارة في الشرق الأدنى*. ترجمة: ميخائيل خوري. بيروت: دار الآداب.

٤. لوكاس ، كرستوفر. (١٩٧٨). *حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم*. ترجمة: يوسف عبد المسيح ثروت. بغداد.

أهميّة الحوار بين الحضارات

الأهداف التعليميّة:

يُتوقّع من الطالب بعد إنجاز أنشطة الدرس أن:

- يوضّح مفهوم الحوار بوصفه نشاطاً إنسانيّاً.
- يشرح الهدف الإنسانيّ الحقيقيّ من حوار الحضارات.
- يثمّن أهميّة الحوار في تكوين علاقات إنسانيّة.
- يستنتج أهميّة الحوار بين الحضارات مع المحافظة على هويّة كلٍّ منها.

أهميّة الحوار بين الحضارات

قضيّة للمناقشة

تتأسّس أيّة حضارةٍ على جهد تاريخيٍّ متراكم لشعب معيّن، ونظراً لاختلاف البيئة الجغرافيّة للشعوب اختلفت حضاراتها، وكان لكلّ منها طابعه الخاصّ، وعندما يكتفي أبناء أيّة حضارةٍ بثقافتها يزداد تباينهم وتباعدهم عن بقيّة الشعوب وتقلّ إبداعاتهم.

أسئلة للمناقشة:

١. أعط مثالاً على جهودٍ يبذلها شعبٌ لبناء حضارته.

٢. كيف تفسّر الاختلاف بين الحضارات؟

٣. هل يمكن إيجاد صيغة للتقريب بين الحضارات؟

في ضوء ما سبق سنناقش الآتي:

أولاً- من الاختلاف إلى الحوار:

الاختلاف صبغةٌ كونيّةٌ أصّلت للحياة ألواناً مختلفة من التفكير والسلوك، وجعلت التباين بين الناس، في رؤاهم ونظرتهم للأشياء، هو الأصل في الاختلاف في الطبائع الوراثية والتنشئة والتكوين والتجربة والأهواء، فليس ممكناً، في الواقع، وجود شخصين متفقين في كلٍّ الأشياء، فالاختلاف والاتفاق قضيتان نسبيّتان، وهذا لا يعني عدم وجود حقٍّ مطلق.

ويعرّف الحوار بأنّه أداة كشف عن الحقائق والأشياء الخفيّة، التي تتمّ بالإجابة عن كثير من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذهن، أو تزيد من القناعات الذاتيّة.

فالحوار يعطي للاختلاف بعداً إنسانيّاً يضعه في شكله الطبيعيّ، ولا يسمح له بالتحوّل إلى طاقة تدميريّة، بل إنّ الحوار يخفّض مستوى سلبيّات الاختلاف ويرفع مستوى إيجابيّاته.

- كيف يمكن نقل الحوار من الأفراد إلى الحضارات؟

ثانياً- الحضارات تتعدّى الحدود السياسية:

تعدّ الحضارة مكوّناً عالميّاً قائماً على ابتكارات مقتبسة من كلّ أنحاء العالم ... والحضارة لا تعترف بالحدود السياسيّة والجغرافيّة، بل تمتدّ وتنتقل من جيلٍ إلى جيل، ومن بلد إلى آخر ومن شعبٍ إلى شعب، إضافة إلى أنها تنتقل عن طريق بلد آخر ...، وحضارة العرب انتقلت إلى أوروبا عن طريق إسبانيا، وعن طريق المدن الإيطاليّة التي احتكّت ببلاد

العرب في أثناء الحروب الصليبيّة، وبعض الحضارات، مثل الصين والهند، انتقلت إلى أوربا عن طريق الفرس، كما أنّها انتقلت إلى أوروبا عن طريق العرب، وحضارة مابين النهرين في العصور القديمة انتقلت إلى مصر وإلى بلاد بحر إيجة عن طريق سوريّة ونستنتج ممّا سبق أنّ العرق لا يكوّن حضارة؛ إذ يمكن أن تظهر الحضارة في أيّة قارّة، ولا يوجد عرقٌ متفوّق بدأت الحضارة على يده .

لقد شكّل حوار الحضارات وتثاقفها وتواصلها أهمّ ما تميّز به تاريخ الحضارات...، وإنّ كلّ حضارةٍ كانت وليدةً لسابقاتها، وإنّ أصول الحاضر، بمظاهره الفكريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة موجودَةٌ في الماضي وممتدّةٌ إلى المستقبل.

فالحضارة ليست مرهونةً في بقعة جغرافية معيّنة، وإنّما هي نظام اجتماعيّ يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافيّ، فنمو الحضارة أسهمت به بلدان مختلفة عبر عصور مختلفة.

فبدأت الحضارة من (كوخ الفلاح)، كما يقول (ديورانت)، أي من القرى، لكنّها لا تزدهر إلا في المدن؛ إنَّ الحضارة لا تتوقّف على جنس دون آخر ...، فقد تظهر في هذه القارّة أو تلك، وقد تنشأ في هذا اللّون من البشر أو ذاك، فلا يوجد شعبٌ بمفرده يعدّ صانعاً للحضارة، بل إنّ الحضارة العظيمة هي التي تخلق الشعب، لأنّ الظروف الجغرافيّة والاقتصاديّة تخلق ثقافةً، والثقافة تخلق النمط الذي يصاغ عليه التمدّن والتحضر.

ولا توجد حضارةٌ واحدة معروفة للتاريخ أو لعلم الإنسان لم تكن مدنيّة؛ لأن المقوّمات والعناصر التي يؤلّفها الاقتباس الحضاريّ بين الشعوب يعتمد على الاحتكاك والتقارب بين الأفراد والشعوب، وهو استمرار العلاقات الاجتماعيّة، ويتمّ الاتصال المباشر بوساطة اللغة وعن طريق التقليد والزواج والتجارة والبعثات العلميّة، والغزو السياسيّ والاتصال العلميّ والصناعيّ.

- ما أهميّة حوار الحضارات في الكشف عن ميّزات كلّ حضارة؟

ثالثاً– حوار الحضارات هدفٌ إنسانيّ:

أ– البعد الإنسانيّ:

يشكّل حوار الحضارات بعداً إنسانيّاً كونه علماً وحياة وثقافة ويعدّ مدخلاً للحفاظ على الحياة البشريّة في كلّ أبعادها الإنسانيّة والثقافيّة والروحيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وصون البيئة والطبيعة.

كما يسهم حوار الحضارات في تقدّم العالم وتطوّره وازدهاره وأمنه وسلامته واستقراره وتنميته؛ إذ إنّه قائم على احترام كرامة الإنسان وحقوقه وحريّاته، ولاسيما الحريّة الدينيّة، والقيم الديمقراطيّة والتعدديّة وحقّ الاختلاف والاعتراف بالآخر واحترامه ومعرفته التي تبعث على التعاون والتضامن والعيش معاً بحريَّة وكرامة وسلام ومحبة، ومن دون الحريَّة والانفتاح لا وجود لهذا البعد الإنسانيّ، فهو جزء مهمّ من الحياة الإنسانيّة، ويعدّ أولويّة في العالم كلّه ولا سيما في الشرق؛ نظراً لتعدّد حضاراته وثقافاته وأديانه؛ **إنّه جوهر الحضارة والثقافة والدين.**

ب–البعد الثقافيّ:

نرى أنّ ثقافة الحوار تؤصّل بعداً ثقافيّاً عميقاً، ينمّي فكراً، ويؤسّس نهجاً، كونه حركة حيّة دائمة للإبداع والمحبة والتضامن والتجدّد والتغيير والوحدة في التنوّع، مشكّلاً حقّاً وواجباً إنسانيّاً وأخلاقيّاً وروحيّاً وثقافيّاً وسياسيّاً وحضاريّاً ...، فلا يمكن أن نتجاهل حقيقةً تاريخيّةً تعترف بالتنوّع، أو بعبارة أدق قائمة على التنوع والاختلاف واحترام الآخر والاعتراف به ومعرفته كما هو، والعيش معه بمحبّة واحترام، وما شهدنا من تاريخ الحضارات أنّها لم تكن من صنع فرد أو شعب أو عقل، وإنّما كانت إبداعاً جماعياً عبر التاريخ...

ج–البعد المعرفيّ:

إنّ الحوار لقاءٌ فكريّ يهدف إلى التعرّف على الآخر ومنظومته المعرفيّة؛ لذا لابدّ من إيجاد مشاركة متعدّدة يتمّ بها الاعتراف والقبول بالآخر مكوِّناً بعداً معرفيّاً يساعد الإنسانيّة على المضيّ بإنتاج كمٍّ هائل من المعرفة عبر التاريخ الذي أسهم في إنشاء الحضارات، مثل: الحضارة البابليّة وحضارة الهند والشرق الأقصى وحضارة الصين واليابان وإيران والحضارة البيزنطيّة والحضارة العربية قبل الإسلام، والحضارة العربية في العصر الإسلاميّ والحضارة الغربيّة، وهذه الحضارات لم تكن ولن تكون إلاّ من اللقاء والانفتاح والانتقال والتأثير المتبادل

بينها أفقيّاً بين(شعب وشعب) وعاموديّاً بين (عصر وعصر)، وهنالك حقيقةٌ علميّة ساطعة تقوم على الاعتراف بأن العالم متنوّع في الحضارات والثقافات والأديان والدّول والشعوب، وهو متعدّدٌ في الحقيقة والتاريخ والواقع، والكثير الكثير بين البشر والبشرية من العلاقات المشتركة والتواصل والتداخل والتعايش والتناغم والتكامل والوحدة.

بينما الفكر الأحاديّ يشكّل فكراً تهميشيّاً قائماً على الاضطهاد والحقد والضغينة والانتقام والفتنة وإبعاد الآخر وتدميره، والاستيلاء على حقوقه وفرض الهيمنة عليه وتحويله إلى مثيل من دون هويّة، وهذا يعدّ تجاهلاً للاختلاف بين الناس والأمم، ويخلق صراعاً وكرهاً، ويتسبَّب في نشوء مشكلات بينها.

- كيف يسهم حوار الحضارات في تحقيق التفاهم بين البشر؟

رابعاً- حوار الحضارات وتنمية وعي العلاقات الإنسانيّة:

يهدف وعي الإنسان إلى إدراك أهميّة الحوار؛ لأنه يشكّل تعاوناً وتضامناً بين الناس، على اختلاف أجناسهم وحضاراتهم وثقافاتهم وأديانهم ومجتمعاتهم ومستوياتهم وشعوبهم ودولهم.

يعدّ حوار الحضارات منهجاً عقلياً يحرّرنا من الجهل، ويُعزّز بالنقد والمراجعة والاعتراف بالتنوع والابتعاد عن تجاهل الاختلاف مع الآخر... مؤكّداً أهميّة العلاقات الإنسانيّة والروحيّة والقيم والأخلاق والضمير؛ لأنّها تؤسس عالماً بعيداً عن الصراع والحروب والقلق والنزاعات، ولا بُدَّ من تفعيل الحوار كقوّة فاعلة في مستقبل البشرية، والإقبال على النهضة والحداثة كمسألة تكاملٍ وتثاقف وتعاون ينقذ الحضارة من حالات الصراع والنزاع... بقصد الوصول إلى ثقافة السلام والمحبّة. والتعرّف على مكوّنات الآخر يُعدُّ مهماً في احترام تراث كلّ حضارةٍ وثقافتها وحرّيّتها.

وإنَّ نقل الأبجديّة والكتابة عن الشعب الفينيقيّ إلى الشعب اليونانيّ، ورحلة طاليس إلى بابل التي أرست أسس النشاط العقليّ العلميّ الإغريقيّ، ودخول فكر أرسطو بوساطة العرب إلى أوروبا في القرن الثالث عشر وتأثيره على إنتاج ثقافتهم وتطوير معارفهم، دليل على أنَّ الحوار يسهم في نقل الأفكار وإنضاجها، وينمّي وعياً وعلماً وفنّاً يرتقي بالبشرية جمعاء.

ويهدف الحوار إلى تجسيد الأفكار والآراء والمعتقدات وتوضيحها وتعميقها وتشذيبها ممّا يعلق بها من انحراف أو جمود أو شوائب تدعو إلى التمسّك والانغلاق، وعدم رؤيّة الآخر.

ويقول المفكّر الفرنسيّ روجيه غارودي: (إنّ الحوار بين الحضارات هو وحده الذي يمكن أن يولّد مشروعاً كونيّاً يتّسق مع اختراع المستقبل؛ وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع).

أسئلة التقويم:

١- اشرح البعد الثقافيّ لحوار الحضارات.

٢- كيف ينمّي حوار الحضارات وعي العلاقات الإنسانية؟

٣- علّل ما يأتي:

- الحضارة ليست مرهونةً برقعةٍ جغرافيّةٍ معينّة.
- يشكّل حوار الحضارات بعداً إنسانيّاً.
- يهدف وعي الإنسان إلى إدراك أهميّة الحوار.

المراجــــع:

- علي، نبيل. (٢٠٠١). الثقافة العربيّة وعصر المعلومات. *عالم المعرفة*، العدد ٢٦٥، الكويت.
- ول ديورانت.(١٩٦١). *قصة الحضارة-مجلّد الشرق الأدنى*. ترجمة محمد بدران. القاهرة: جامعة الدول العربية.
- بن نبي، مالك.(١٩٧٩). شروط النهضة. ترجمة كامل سقاوي وعبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر.
- السيد يسين.(١٩٩٥). الوعي التاريخيّ والثورة الكونية. القاهرة: مركز الدراسات السياسيّة والاستراتيجيّة بالأهرام.
- لوبون، غوستان.(١٩٥٧). السّنن النفسيّة لتطوّر الأمم. مصر: دار المعارف.

حوار الحضارات أم صراعها

الأهداف التعليميّة:

يتوقّع من الطالب بعد تنفيذ أنشطة الدرس أن:

١- يتعرّف معنى حوار الحضارات وشروطه.

٢- يلخّص نظرية هنتغتون في صدام الحضارات.

٣- يناقش نظريّة صدام الحضارات وأثرها في عالم متعدّد الحضارات.

٤- يثمّن الحوار بين الحضارات بعيداً عن الأحادية .

٥- يستنتج أهميّة الحوار الإنسانيّ وأثره في تعزيز التقدّم الحضاريّ.

حوار الحضارات أم صراعها

قضيّة للمناقشة:

تُسمّى الأرقام التي نستعملها في اللغة العربيّة "الأرقام الهندية"، بينما تُسمى الأرقام التي يستعملها الأوروبيّون في لغاتهم "بالأرقام العربية"، ولم يتوقّف هذا التواصل الحضاريّ بين البشر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب عند حدّ على الأرقام فقط، بل تعدّاها إلى الكلمات، فلا نكاد نجد اليوم لغةً خالصة لم تدخلها مفردات لغة أخرى، وكما أخذ العرب عن غيرهم من الحضارات الشرقيّة كلماتٍ عدة، مثل: الدرهم والدينار والسندس، فقد أخذ عنهم الأوروبيّون أمثالها، مثل: (سكّر – Sugar) و (غَول – Alcohol) و (صابون – soap) .. الخ.

ناقش زملاءك في الأسئلة الآتية:

١- هات أمثلةً لمفرداتٍ أخذتها اللغة العربيّة عن غيرها، وأخرى أخذت عنها.

٢- إلام يشير تبادل الكلمات بين الشعوب المختلفة في اللغات؟

٣- ما الذي يعنيه مصطلح الحوار، وكيف يكون بين الحضارات؟

في ضوء الأسئلة السابقة سنناقش الآتي:

أولاً- حوار الحضارات وشروطه:

تردّد لفظ (الحوار) في العقود الأخيرة من القرن العشرين في محافل شتّى، ووصف بعلاقاتٍ متباينة لا يستطيع المراقب أن يقول إنها كلّها كانت ذات نفع للمتحاورين، بل كان بعضها كذلك، وحمل بعضها الآخر في طيّاته محاولة القويّ فرض رأيه وثقافته ووجهة نظره على الآخرين، وفي نهاية القرن العشرين دعت منظّمات عديدة إلى حوار الثقافات، وانتهى الحوار إلى مجموعة أوراق في كتب، ولكنّها لم تثمر تغييراً ثقافيّاً حقيقيّاً ملموساً حتّى الآن.

ومع تعدّد الآراء والأفكار والأطياف حول حوار الحضارات يمكن استخلاص القاسم المشترك بينها، ولكي يثمر هذا الحوار ويحقّق نجاحه وأهدافه، **لابدّ من توافر مجموعة شروط، من أهمّها:**

١ – الاعتراف بالآخر:

يقتضي الحوار قبولاً مبدئيّاً بوجود الآخر وبحقّه في هذا الوجود، وبخصوصيّته التي لا يجوز لأحد أن يسعى إلى تغييرها، وبمقوّمات بقائه، وليس المقصود بالاعتراف بالآخر مجرّد المعرفة بوجوده، بل يضاف إليها **الاعتراف بحقوقه واستقلاله وتماثله مع الأنا في الإنسانيّة**، وينطوي الاعتراف، أيضاً، على أنّ التعارف الذي يقتضي تقارباً بين المتعارفين **وتسليماً متبادلاً** باختلاف كلّ منهما عن الأخر.

٢ – التبادل الحضاريّ:

من شروط نجاح حوار الحضارات أن يتحقّق التبادل فيما بينها، فيكون لكلّ طرف من الأطراف **حقّ التعبير عن رأيه وبيان موقفه** من القضايا التي يجري الحوار حولها، مهما كان الرأيّ أو الموقف مخالفاً لما يعتقده أو يفعله أو يدعو إليه الآخرون، وبغير ذلك يتحوّل الحوار إلى فرض وجهة نظر أو إملاء رأيّ لا يستفيد منه المتكلّم أو السامع.

٣ – الثقافة:

من شروط نجاح الحوار واستمراره أن يكون **نشاطاً دائماً متجدّداً**، لأن الإحاطة بجوانب التميّز، ثمّ الإفادة منها في تبادل الخبرة والمعرفة ووسائل النمو والترقي، لا يتمّان في جلسة أو عدة جلسات حواريّة، ولا يحيط به فردٌ أو مجموعة أفراد، ولكنّه يحتاج إلى تواصل مستمرّ يتعدّد المشاركون فيه بتعدّد جوانب الحياة وتنوّع التخصّصات فيها، وبذلك يؤتي الحوار ثماره ويحقّق هدفه.

أمّا **محور نجاح الحوار** فهو الثقافة التي تعبّر عنها الحضارات المختلفة، ثم النشاط البشريّ الذي تتمثّل فيه هذه الثقافة، فبهذه الصورة يمكن أن يستمرّ الحوار بين الحضارات وينجح، أمّا إذا أريد بالحوار بين الحضارات خضوع الناس جميعاً لنمط واحد من أنماط الحياة البشريّة، وتحويل الأساليب المتباينة إلى منظومة تفرضها حضارة بعينها، فهذا ما سوف يؤدّي إلى نقض مبدأ الحوار من أساسه.

٤ – الخصوصيّات الثقافيّة:

في عصر اختزال المسافات، وتقدّم وسائل الاتصالات والمعلوماتيّة نتساءل **كيف يتمّ الحوار؟** إنّ أوّل خطوة في طريق الحفاظ على الخصوصيّات الثقافيّة **هي إثبات الهويّة ومكوّناتها**. ومن الملاحظ أنّ الصينيين واليابانيين يجيدون اللغة الانكليزيّة بشكل تامّ، وقد

أجادوا في معرفة العلوم والتكنولوجية الأوربيّة والأمريكية، وعملوا على تطويرها والتفوّق عليها، لكنّهم لم يبهروا بالثقافة الأمريكيّة، ولم يتخذوها نهجاً لحياتهم، ولم يسمحوا لها أن تؤثّر على حياتهم الاجتماعيّة أو عاداتهم.

وهنا ينبغي التنبيه إلى **أهميّة الأثر الذي ينبغي على المثقّف العربيّ القيام به** في نشر ثقافة اللغة العربيّة وتراثها، وفي الوقت نفسه ينبغي على هذا المثقف أن ينفتح على ثقافات الأمم الأخرى فيشارك في إغنائها ويستفيد من حسناتها.

ثانياً- نظريّة هنتنغتون في صراع الحضارات:

يرى صموئيل هنتنغتون في كتابه **(صراع الحضارات)**، أنّ هناك تواريخ عديدةً للبشريّة، لكلّ منها محركه الخاصّ به، فهناك التاريخ القديم الذي تحرّك بقوّة رغبات وحسد الملوك والأمراء، وتاريخ آخر تحرّك بقوّة صراع الأمم، ثمّ تاريخ ثالث كان محرّكه صراع الإيديولوجيات الذي انتهى مع نهاية الحرب الباردة، أمّا التاريخ الذي تخطّه البشريّة اليوم، فيتحرّك بقوة صدام الحضارات.

ويشير هنتنغتون في كتابه (صراع الحضارات) إلى أمور عدة مهمّة **كمفهوم الحضارة وطبيعة العلاقة بين القوة والثقافة في البنيان الحضاريّ**، كما يشير إلى تغيّر ميزان القوى بين الحضارات، وإلى الصراعات التي نشأت عن عالميّة الغرب ، ومستقبل الغرب والعالَم في ظلّ هذه العالميّة.

تعيش في ظلّ هذه العالمية حضاراتٌ متعددة، هي: **الصينيّة** ، **واليابانية، والهنديّة، والعربيّة الإسلاميّة، والغربيّة، والإفريقيّة، وأمريكا اللاتينية**، ويعتقد هنتنغتون أنّ ما يحكم العلاقة بين هذه الحضارات، هو " الصدام "، وأساس هذا الصدام هو الثقافة أو الهويّة التي تمتلكها كلّ حضارة، يقول هنتنغتون:**(إنّ الثقافة أو الهويّات الثقافيّة، التي هي على المستوى العام هويّات حضاريّة، هي التي تشكّل أنماط التماسك والتفسّخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة)**.

تؤكّد النظريّة الرئيسة لهنتنغتون أنّ الصراعات الأساسيّة في العالم الجديد لن تكون إيديولوجيّةً، إنّما ستكون صراعات حضاريّةً، وستكون الحدود الفاصلة بين الحضارات جبهات معركة المستقبل لها جميعاً.

ثالثاً- قيمة نظريّة هنتغتون:

تقوم نظريّة هنتنغتون على افتراض أنّ الثقافات و الحضارات، هي أنظمةٌ ثابتة تتشكّل تاريخيّاً عبر سلسلة من السمات الأخلاقيّة، ولا شكّ أنّ هذا الافتراض يتضمّن تبسيطاً غير مقبول لمفهوم الحضارة، فالثقافات والحضارات ليست أنظمةً ثابتة، وليست بيوتاً محاطة بأسوار عاليّة، إنّما هي متغيّرة ويعتريها التبدّل، ويمكن أيضاً أن تختلط مع بعضها أو تنصهر في بوتقةٍ ثقافيّةٍ واحدة.

إنّ تنافس البشر وتعدّد ثقافتهم هو شيء آخر مختلفٌ تماماً عن الصراع الدمويّ والحرب؛ إذ ليس للحضارات أو الثقافات في حدّ ذاتها تصرّفاتٌ عدائيّةٌ ضد بعضها، وبناء عليه، فإنّ الحوار بين البشر، على اختلاف مجتمعاتهم وأديانهم ووجهات نظرهم، يسهم في تجنّب انتشار الصراع المعتمد على القوّة؛ لذلك يجب علينا العمل جميعاً لتشجيع الحوار أي المبادرة نحو الحوار في المجالات جميعها.

رابعاً- حوار الحضارات مقابل صدام الحضارات:

إنّ الحوار بين الشعوب والحضارات يكون بالتعاون على الخير، وترك العدوان والعمل لصالح الإنسانيّة في عصر لا يستطيع أيّ شعب فيه أن يعيش، ولا أيّ دولة أن تستمرّ إلاّ **بالاندماج في المجتمع الدوليّ**، لتكون عنصراً فعّالاً من عناصر الأسرة الدّولية، وتواكب التطوّر والتقدّم في جميع المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعلميّة والصناعيّة والتكنولوجيّة والثقافيّة.

وليس الهدف من الحوار مع الآخر، ولاسيما الغربيين، إقصاء الآخر إنّما التكامل معه، **فالتعدّدية الثقافيّة** هي الكنز الباقي عبر الأجيال؛ لأنّها انصهار الحضارات التي تعاقبت على هذا الكون منذ بدء الخليقة، ولن يتحقّق الحوار الحضاريّ إلا بالابتعاد عن **الأحاديّة والهيمنة** التي تحاول أن تضع الناس في قالب واحدٍ مستنسخٍ عن النموذج الذي يحاول القويّ فرضه على غيره من الأطراف.

أسئلة التقويم والمناقشة

أولاً- علّل ما يأتي:

١- يُعدّ التبادل الحضاريّ شرطاً من شروط نجاح الحوار بين الحضارات.

٢- الثقافات والحضارات ليست أنظمةً ثابتة.

٣- الأحاديّة والهيمنة عقبة في تحقّق الحوار الحضاريّ.

ثانياً- أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ما الشروط الواجب توافرها ليتحقّق الحوار بين الحضارات ؟

٢- وضّح نظريّة هنتنغتون في صراع الحضارات.

٣- قارن بين حوار الحضارات وصدامها.

٤- ما النقاط التي أكّدت عليها ندوة المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة حول "الحوار بين الحضارات من أجل التعايش"؟

ثالثا- الموضوع:

يرى هنتنغتون أنّ التاريخ الذي تخطّه البشريّة اليوم يتحرّك بقوة صدام الحضارات وصراعها. ناقش هذا الموضوع مبيناً رأيك.

المراجـــع:

١. هنتنغتون، صموئيل .(١٩٩٩). *صدام الحضارات*. ترجمة طلعت الشايب.

٢. العشماوي. فوزية.(٢٠٠٣). الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية. *مجلة العربي*، العدد٥٣٤.

٣. العوا، محمد سليم .(د.ت). *حوار الحضارات وشروطه*، www.balagh.com.

٤. الحوار بين الحضارات من أجل التعايش .دمشق ٢٠٠٢ www.isesco.com

تحليل نصّ

(في فلسفة الحضارة)

أرنست كاسيرر

يقول الفيلسوف الألمانيّ (أرنست كاسيرر) في كتابه" مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية":

عاش الإنسان في عالم موادّ (موضوعات) مدةً طويلةً قبل أن يعيش في عالمٍ علميّ. ومن قبل أن يجد سبيله إلى العلم لم تكن تجربته كتلةً لا شكل لها من التعبيرات الحسيّة، بل كانت تجربته منظمّة يحسن الإفصاح عنها، وكان لها كيان محدّد، إلا أنّ الأفكار التي كانت تمنح هذا العالم وحدته التركيبيّة ليست من نوع الأفكار العلميّة، ولا تقف معها على مستوى واحد، وإنّما هي أفكار أسطوريّة أو لغويّة، وإذا حلّلناها وجدنا أنها ليست بسيطة أو " بدئية" – بأيّ حال؛ لأنّ التصنيفات الأولى للظواهر الطبيعيّة، تلك التصنيفات التي نجدها في اللغة والأسطورة، أعقد وأكثر رقيّاً – في بعض الوجوه– من تصنيفاتنا العلميّة، لأنّ العلم يبدأ بالبحث عن البساطة، ومن حكمه الأساسيّة: " البساطة خاتمة الحقيقة" وهذه البساطة المنطقيّة نهاية لا بداية، والحضارة الإنسانيّة تبدأ بحالة معقدة متشابكة من حالات العقل الإنساني، وتمرّ كلّ علومنا الطبيعية – على وجه التقريب– في مرحلةٍ أسطوريّة. فعلم الصنعة في تاريخ الفكر العلميّ يسبق الكيمياء، والتنجيم سابق الفلك.

.... توصف الحضارة الإنسانيّة، من حيث هي كلّ، بأنّها عمليّة تحرّر ذاتيّ متدرّجٍ لدى الإنسان، وتمثّل اللغة والفن والدين والعلم أوجهاً متنوّعة في هذه العملية، ففيها جميعاً يستكشف الإنسان قوّة جديدة ويثبتها – قوة يبني بها عالمه – وهو عالم " مثالي" .

ولا تكفّ الفلسفة عن السعي لإيجاد وحدة أساسيّة لهذا العالم المثاليّ، ولكنّها لا تخلط هذه الوحدة بالبساطة؛ لأنها لا تغفل ضروب التوتّر والاحتكاك والمفارقات وأنواع الصراع العميق بين قوى الإنسان المختلفة.

وهذه كلّها لا ترتدّ إلى مقامٍ مشترك؛ لأنّها تذهب في اتجاهات مختلفة وتخضع لمبادئ مختلفة كذلك، إلاّ أنّ هذا التكثر والتباعد لا يدلاّن على انشقاق وانعدام انسجام، فكلّ هذه الوظائف يكّمل أحدها الآخر ويتممّه، وكلّ واحد يفتح أفقاً جديداً ويرينا مظهراً جديداً من مظاهر الإنسانية، فيكون المتنافر منسجماً مع نفسه، وتتبادل الأضداد اعتمادها بعضها على بعض، ولا تتبادل مناهضة أحدها الآخر، ويكون الأمر كما قال هرقليطس:" انسجام في تضاد كحال القوس والقيثارة"(ص ٣٥٠). *

الأنشطة:

١- اقرأ النَّصَّ قراءةً صامتةً.

٢- حدِّدِ الكلماتِ والمصطلحاتِ غيرَ المعروفةِ في النصِّ، ثمَّ وضِّحْها لتضيفَها إلى قاموسك.

٣- استنتجِ الأفكارَ الرئيسةَ في النَّصِّ، ثمّ اشرحْها.

٤- حدِّدِ الأفكارَ الفرعيَّةَ المتضمَّنةَ في الأفكارِ الرَّئيسةِ.

٥- ضعْ مخطَّطاً لبنيةِ النَّصِّ أو هيكليّتِهِ مستعيناً بالأفكارِ الرَّئيسةِ والفرعيَّةِ، ثمّ حدِّدِ الرَّوابطَ بينَها

٦- ضعْ عنواناً مناسباً للنصِّ.

التقويم

١- كيف كانت تجربة الإنسان قبل العيش في العالم العلميّ؟

٢- ما أوجه الحضارة، وما أهميتها؟

٣- لماذا تسعى الفلسفة إلى إيجاد وحدةٍ أساسيةٍ للعالم المثاليّ في رأيك؟

*من كتاب " **مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية** " تأليف: أرنست كاسيرر، ترجمة: إحسان عباس، مراجعة: محمد يوسف نجم، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦١م. ص ٣٥٠، ص٣٨٠ – ص٣٨١.

المؤلف: أرنست كاسيرر:فيلسوف ألمانيّ معاصر من أهم مؤلفاته: " فلسفة الأشكال الرمزية " و" أسطورة الدولة" و" مشكلة المعرفة"